

كتب قداسة البابا شنودة الثالث

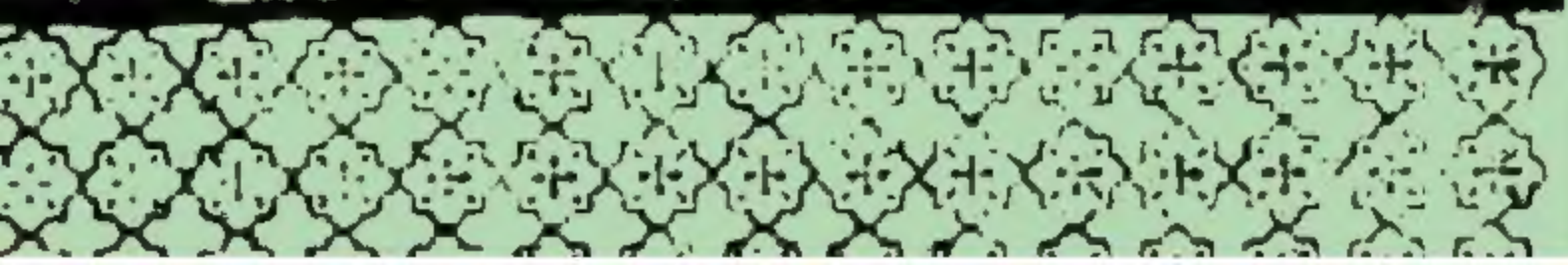


www.st-mgalx.com

من عظات
قداسة البابا شنودة الثالث

لو عشنا

فن المفهوم المسيحي



الوصايا العشر في المفهوم المسيحي :

الكتاب الثاني

أكرم أباك وأهلك

لقداسة البابا شنودة الثالث

Contemptions On The Ten Commandments
2- The 5th commandment.
by H.H. Pope Shenouda III

4th reprint
Cairo 1980

الطبعة الرابعة
القاهرة ١٩٨٠

تصدير

لم تكن الوصايا العشر ، وصايا خاصة بزمان موسى النبي ، ولا بالعهد القديم فقط ، إنما هي خاصة بكل جيل لأن السماء والأرض ترولان ، وحرف واحد من وصايا الله لا يزول (مت ٥ : ١٨) .

إنما المسيحية أعطت الوصايا العشر مفهوماً خاصاً ، يتفق مع السموات الذي فهمه المؤمنون في العهد الجديد . وبقيت الوصايا ثابتة ، ولكن مفهوماً يتسع ، حب يمنح الله بنعمته مجالاً للتأمل . وما أصدق قول داود النبي :

« لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً »

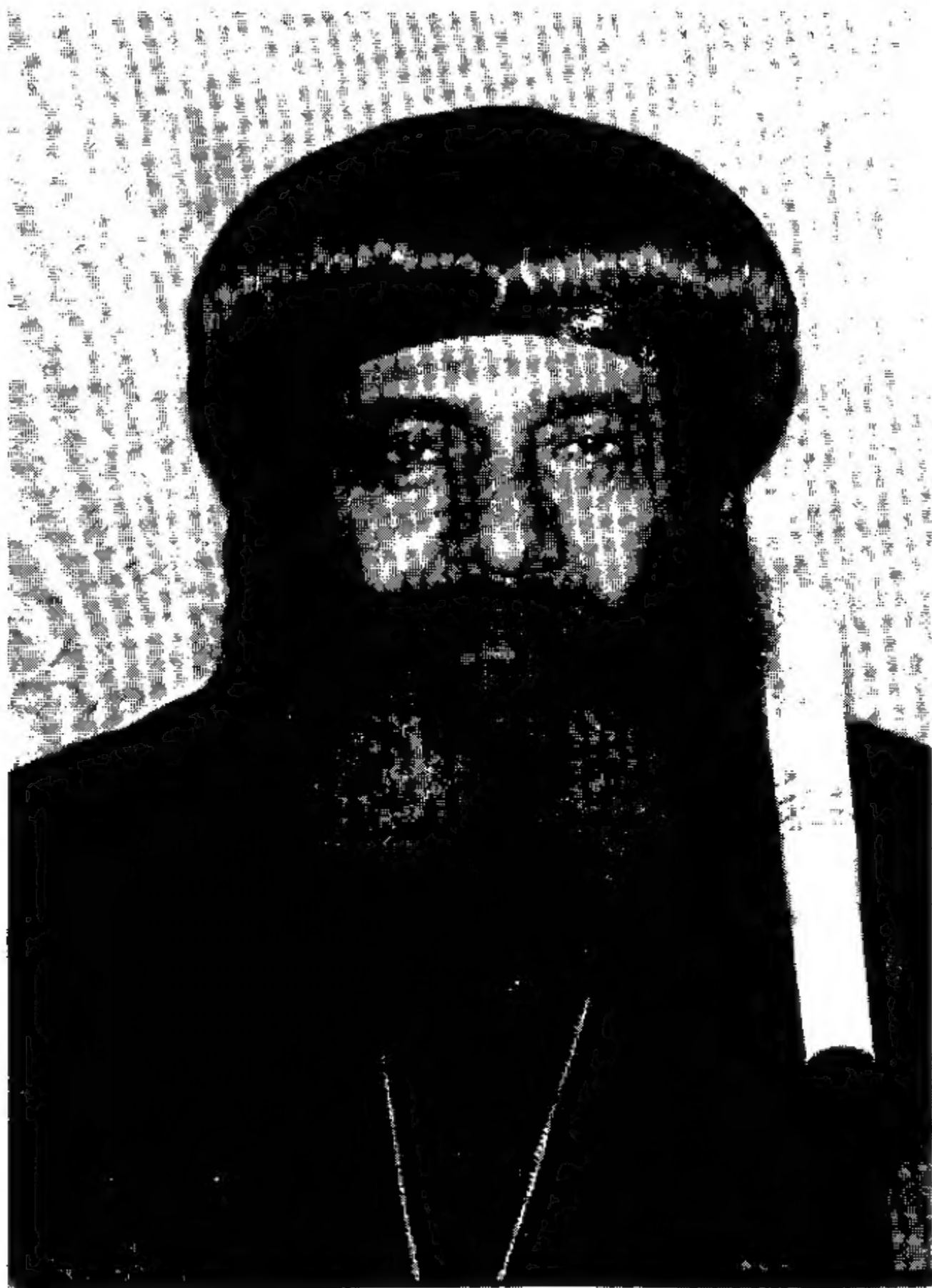
(مز ١١٨ : ٩٦)

وقد ألفت هذه المحاضرات سنة ١٩٦٧ ، ونشرناها أكثر من مرة ، وما نحن نعيد طبعها كما ألفت وقتذاك .

شنوده الثالث

١/٧/١٩٨٠ (٢٤ بؤونة)

عيد القديس موسى الأسود



قداسة البابا شنودة الثالث

H.H. Pope Shenouda III

◉ الوصية الخامسة ◉

« اكرم أباك وأمك ، لكي تطول أيامك
على الأرض التي يعطيك الرب الهك »
(خروج ٢٠ : ١٢)

« اكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب الهك ،
لكي تطول أيامك ، ولكي يكون لك
خير على الأرض التي يعطيك الرب الهك »
(تثنية ٥ : ١٦)

الفصل الأول

الأبوة الطبيعية ، واحترام الأقارب الكبار

معنى الوصية الحرفي :

هذه الوصية الخامسة ، فى معناها الحرفي ، البدائي ، الأولى ، قبل أن يتسع نطاقها فى مفهوم البشرية ، وقبل أن تصل الى كمال فهمها فى المسيحية ، كان المقصود بها اكرام الوالدين اللذين أنجبا الابن بالجسد .

اتساع معناها ومفهومها :

ثم اتسعت حتى شملت الأقارب الجسديين الذين هم فى منزلة الأب والأم كالعم والخال والعمة والحالة ... ثم اتسعت حتى شملت كبار السن ، الذين هم من جهة سنهم فى منزلة الأب والأم ...

ثم اتسعت الوصية فى فهمها حتى شملت الأبوة الروحية ، وأصبحت تنطبق على الذين يهتمون برعاية أرواحنا وعقولنا كالكهنة والمعلمين ، كما شملت أيضا أبوة المركز ومن لهم علينا واجب الرعاية ...

وسنتكلم فى هذا الفصل الأول عن الأبوة الطبيعية ، على أن الكلام فيها سيضع قواعد عامة يمكن أن تندرج تحتها باقى الأبوات .

أهمية هذه الوصية

تظهر أهمية هذه الوصية في أنها :

١ - أولى الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية :

هذه الوصية الخاصة باكرام الوالدين ، نجدها في مقدمة وصايا اللوح الثانى ، قبل قول الرب : لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ... الخ . وهذا الترتيب يعطينا فكرة عن خطورة هذه الوصية التى جعلها الرب أولى العلاقات البشرية .

تصوروا ان الرب لكى يعطينا فكرة عميقة عن اكرام الوالدين ، يقول «أكرم أباك وأمك» قبل أن يقول «لا تقتل» ، وقبل أن يقول «لا تزنى» ، وقبل أن يقول : لا تسرق ولا تكذب ولا تشته . كأن الذى يخطئ بعدم اكرام والديه هو أكثر خطية ممن يرتكب جريمة قتل أو جريمة زنى أو جريمة سرقة ، وأكثر من الذى يشهد بالزور أو يشتهى ما لقريبه ...

لقد وضع هذه الوصية فى المقدمة حتى لا نستهن بها . قد يقشعر البعض منا من جريمة القتل ، ويقول : « حاشا لى أن أقتل » . اننى لست مجرما » . ولكن الله قال « اكرم أباك وأمك » قبل أن يقول « لا تقتل » . وهكذا بين لنا مقدار الجرم الذى يرتكبه الانسان اذا لم يكرم والديه .

يزيد فى قيمة هذه الوصية أيضا انها :

٢ - أول وصية مقترنة بمكافاة :

قال بولس الرسول « اكرم أباك وأمك ، التى هى أول وصية بوعد ... » (١) . وما هو ذلك الوعد الذى وعد به الله من يكرم والديه ؟ انها بركة مزدوجة : لكى تطول أيامك على الأرض ، ولكى يكون لك خير (٢) .

وعكس هذا صحيح . فالذى لا يكرم والديه ، يحدث له عكس هذه البركة ، فتكون أيامه قليلة ، وردية ...

يعقوب أبو الآباء ، الذى استغل عمى أبيه ، وخدعه ، وأخذ بركته بمكر ، نراه يثبت لنا هذه القاعدة عندما قال لفرعون « قليلة وردية كانت أيام سنن حياتى ، ولم تبلغ الى أيام سنن حياة آبائى » (٣) .

ان هذا ولا شك يرشدنا الى نقطة أخرى تؤكد أهمية هذه الوصية ، وهى عقوبة الموت لمن يكسرها :

٣ - من لا يكرم والديه عقوبته القتل واللعنة :

ان كسر هذه الوصية ، كانت عقوبته الموت . وفى ذلك تقول الشريعة « من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ... »

(٢) أف ٦ : ٣ ، تث ٥ : ١٦

(١) أف ٦ : ٢

(٣) تك ٤٧ : ٩

ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا ، (٤) •

ويؤكد الرب هذه العقوبة الحازمة بقوله فى موضع آخر
« كل انسان سب أباه أو أمه ، فانه يقتل • قد سب أباه أو
أمه ، دمه عليه » (٥) •

ولعله الى هذه الوصايا أشار السيد المسيح عندما قال
للكتبة والفريسيين « لأن موسى قال : اكرم أباك وأمك ، ومن
يشتم أباه أو أما فليمت موتا » (٦) •

ان الأب والأم ليسا مثل الأشخاص العاديين • فان شتم
انسان شخصا عاديا ، لا تكون عقوبته الموت • وانما من
الجائز أن يقدم للمجمع ، ومن الجائز أن ينتهى الأمر بالصلح •
أما ان شتم أباه أو أمه ، فان عقوبته تكون القتل ، فيموت
موتا ...

وبالإضافة الى عقوبة الموت ، كان من يسب أباه أو أمه
تتبعه اللعنة أيضا • وفى ذلك يقول الكتاب « من سب أباه
أو أمه ينطفىء سراجة فى حديقة الظلام » (٧)

**ولم تكن عقوبة القتل قاصرة على من يضرب أبويه أو
يشتمهما ، وانما كانت أيضا لابن المعاند غير المطيع •**

وفى ذلك يقول الرب فى سفر التثنية « ان كان لرجل
ابن معاند ومارد ، ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ،

(٥) لا ٢٠ : ٩

(٤) خر ٢١ : ١٥ ، ١٧

(٧) أم ٢٠ : ٢٠

(٦) مر ٧ : ١٠

ويؤدبانه فلا يسمع لهما : يمسكه أبوه وأمه ، ويأتیان به الى
شيوخ مدينته والى باب مكانه • ويقولان لشيوخ مدينته :
ابننا هذا معاند ومارد ، ولا يسمع لقولنا ، وهو مسرف
وسكير • فیرجنه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت ،
فتنزع الشر من بينكم » (٨) •

**وكانت اللعنة عقوبة من يستخف بأبيه أو أمه ، أى
يستهزئ بهما أو لا يقابلهما بما يليق من الاحترام والتوقير •**

على جبل عيبال ، كان يقف اللاويون ، ويصرخون بصوت
عال « ملعون من يستخف بأبيه أو أمه » • فيقول جميع
الشعب « آمين » (٩)

ويقول الكتاب أيضا « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة
اطاعة أمها ، تقورها غربان الوادى، وتاكلها فراخ النسر » (١٠)

**ان لعنة كنعان بن حام تعطينا فكرة دقيقة عن عقوبة
عدم اكرام الوالدين • فماذا كان سبب تلك اللعنة الخطيرة ؟**

لم يحدث أن حام عصى أباه أو ضربه أو سبه أو تكلم عليه
بالشر • انما كل ما فى الأمر أنه أبصر أباه نوحا - وهو
سكران وعريان - فلم يغطه ، بل نظر وأخبر اخوته (١١) •
وبسبب هذا أصابت اللعنة نسله من الكنعانيين آلافا من
السنين ...

(٨) تث ٢١ : ١٨ - ٢١ (٩) تث ٢٧ : ١٦

(١٠) أم ٣٠ : ١٧ (١١) تك ٩ : ٢٠ - ٢٦

حتى ان السيد المسيح نفسه ، المسيح اللطيف الرقيق ،
الذى كل كلامه يمتزج بالرقّة والشفقة والحنو ، نراه فى
حديثه مع المرأة الكنعانية قد أكد هذه اللعنة بقوله للمرأة
« ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » (١٢) .
« للكلاب » ؟! كلمة شديدة ولا شك ، يزيد لها شدة انها
صادرة من فم المسيح الطيب الحنون ، وموجهة الى امرأة
مسكينة تطلب شفاء ابنتها ...

ولكن هذه الشدة تثبت أن الرب قد صدق على اللعنة
التي لعن بها نوح نسل ابنه حام ، وبالتالي تعطينا فكرة عن
اهمية اكرام الوالدين ، وكيف انها ليست خطية هينة أن
يستخف أحد بأبيه أو أمه .

ونلاحظ أنه فى نفس الوقت الذى لعن فيه نسل حام من
الكنعانيين ، بورك سام ويافت ، لأنها لما سمعا أن أباهما
عريان « أخذوا الرداء ، ووضعاه على اكتافهما ، ومشيا الى
الوراء ، وسترا عورة أبيهما » دون أن ينصرا عريه ...

ان وصية اكرام الوالدين ، يوضح أهميتها أيضا :

٤ - المقام الكبير الذى للأب :

الأب هو رئيس الأسرة كلها ، ليس للأولاد فقط وانما
لأهم أيضا ، لأن « الرجل هو رأس المرأة » (١٣) . وفى

(١٢) متى ١٥ : ٢٦

(١٣) اكو ١١ : ٣

النظام القبلى قديما ، كان الأب هو حاكم الأسرة ، وكان الأب الكبير أو الجد هو حاكم العشيرة ، وهو قاضيا أيضا . فكان يجمع بين الرئاسة الطبيعية والرئاسة المدنية فى نفس الوقت .

وكان الأب أيضا هو كاهن الأسرة وشفيعها عند الله .
ولما جاءت شريعة موسى ، خصصت الكهنوت فى بنى هرون .
ونكن قبل شريعة موسى ، كان الأب هو كاهن الأسرة .
نسمع أن أيوب الصديق مثلا كان يقدم محرقات عن أولاده ،
على عددهم كلهم ، لأنه قال « ربما أخطأ أبنائى وجدفوا على
الله فى قلوبهم » (١٤) . وهكذا كان شفيعهم ووسيطهم
عند الله . . . وبالمثل كان نوح وإبراهيم واسحق ويعقوب ،
وكل أولئك الذين نسميهم « الآباء البطارقة » أى رؤساء
الآباء . . .

**وكانت بركة الأب شيئا عظيما ، يسعى اليه الابن ،
ويطلبه بدموع وبكافة الطرق . ومن يباركه الأب ، يباركه
الله . . .**

وهكذا نسمع مثلا ان اسحق بارك يعقوب . ومع أن
يعقوب سعى الى تلك البركة بخدعة ومكر ، الا أن بركة أبيه
له قد ثبتت ، واعتمدها الله نفسه ، وبارك الله يعقوب الذى
باركه أبوه اسحق (١٥) . وهكذا أيضا نرى عيسو الجبار ،
يبكى بمرارة ودموع طالبا بركة أبيه (١٦) .

(١٥) تك ٢٨ : ١ ، ١٤

(١٤) أيوب ١ : ٥

(١٦) تك ٢٧ : ٣٨

وكما كان الله يعتمد بركة الأب ، كان يعتمد لعنته أيضا .
وقد رأينا مثلا لهذا في لعنة نوح لكنعان ، ثلاث مرات يصب
عليه لعنة العبودية . فقال « ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون
لأخوته » ثم قال « مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا
لهم . ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام ، وليكن
كنعان عبدا لهم » (١٧) . وهذه العبودية التي كررها نوح ثلاث
مرات في لعنته لكنعان ، قد وافق عليها السيد الرب في
حديثه مع المرأة الكنعانية كما سبق وقلنا ...

وبنفس الوضع اعتمد الرب كل البركات والأحكام التي
قالها يعقوب أبو الآباء لأبنائه فتمت كما هي (١٨) .

ومن الأدلة الكبيرة على أهمية مركز الوالدين ، أن

٥ - الله شبه محبته بحنو الأب والأم :

عندما أراد الرب الهنا أن يبين عمق صلته بنا ، وعمق
محبته لنا ، شبه علاقته بنا بحنو الأب وحنو الأم .

ان الله هو سيد الخليقة كلها ، كلها صنعة يديه ، وكلها
خاضعة لسلطانه ، وكثيرا ما ندعوه ربا ، وهو كذلك ...

ولكن الهنا الحنون يفضل لقب الأب لدلالته على الحب
والحنان .

(١٧) تك ٩ : ٢٥ - ٢٧

(١٨) تك ٤٩

وهكذا عندما علمنا مخلصنا الصالح الصلاة الربية ، لم يطلب إلينا أن نوجهها الى سيدنا الخالق الحاكم ، انما أمرنا أن نقول « أبانا الذى فى السموات » .

وما أكثر آيات العهد الجديد التى تدل على أبوة الله ،
والتي تحمل معنى محبته واشفاقه ...

عندما تحدث ربنا يسوع المسيح عن احتياجاتنا ، قال « لا تهتموا ... لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها » (١٩) « فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيراتة للذين يسألونه » (٢٠) . وفى حديثه عن الملكوت قال لنا « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (٢١) . وفى حديثه عن عمل الخير فى الخفاء ، كرر أكثر من مرة عبارة « أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (٢٢) ... ما أكثر الآيات التى تدل على أبوة الله لنا ، ليس من السهل أن نحصيها .

هذه الأبوة ليست شيئاً جديداً من تعاليم العهد الجديد ،
انما أمر واضح منذ البدء ، من الاصحاحات الاولى لسفر التكوين .

ان قصة الطوفان تبدأ بهذه المقدمة « ان أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات » (٢٣) . وهكذا نرى أن الله - فى

(١٩) متى ٦ : ٣١ ، ٣٢ (٢٠) متى ٧ : ١١

(٢١) لوقا ١٢ : ٣٢ (٢٢) متى ٦ : ٦

(٢٣) تك ٦ : ٢

أبوته العجيبة - لم يستنكف أن يدعو البشر أولاده ، حتى وهم فى عمق الخطية .

واحس أنبياء العهد القديم أبوة الله ، فخطبوه قائلين « فانك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا ، منذ الأبد اسمك » (٢٤) « والآن أنت يارب أبونا ، نحن الطين وأنت جابلنا » (٢٥) .

وبهذا كله رفع الله شأن الأبوة ، اذ دعا نفسه ابا لنا . وكذلك شبه محبته بحنان الأم ، اذ قال معاتباً اورشليم قائلاً « يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا » (٢٦) . وهنا يشبهه محبته بالدجاجة الأم فى حنوها على فراخها . بل يقول الرب ان حنانه أكثر من حنان الأم التى لا يمكن أن تنسى رضيعها (٢٧) . ان كان الله فى حنانه هو أبونا ، فان الكنيسة هى امنا . وكلنا أبناء الكنيسة ، تمخض بنا الرسل (٢٨) ، وولدتنا الكنيسة الأم فى جرن المعمودية ، وغذتنا لبن التعليم السليم موعشنا فى أحضانها هذا الزمن كله نتمتع برعايتها وحبها ... لذلك نضع فوق كل محبة ، وفوق كل أبوة وأمومة :

أبوة الله ، وأمومة الكنيسة

(٢٥) أش ٦٤ : ٨

(٢٧) أش ٤٩ : ١٥

(٢٤) أش ٦٣ : ١٦

(٢٦) متى ٢٣ : ٣٧

(٢٨) غل ٤ : ١٩

الفصل الثاني

كيف نكرم الآباء ؟

قد يقول كل واحد منا : أنا مقتنع بخطورة هذه الوصية ، وبوجوب اكرام الوالدين . ولكن كيف أكرم والدي ؟
ان اكرام الوالدين يستوجب المحبة ، والطاعة ، والاحترام ،
والعرفان بالجميل ، والاعالة .
وعناك عنصر يضاف الى هذا كله ، وسنبداً به ، وهو
النجاح .

النجاح

لا شك ان النجاح فى الحياة هو لون من ألوان اكرام
الوالدين . ان نجاحك يشرف اباك ويشرف أمك ويفرح قلبيهما
وصدق الكتاب عندما قال « الابن الحكيم يسر اباه ، والابن
الجاهل حزن امه » (٢٩) . وقال أيضاً « أبو الصديق يبتهج
ابتهاجا ، ومن ولد حكيما يسر به » (٣٠) .

(٣٠) أم ٢٣ : ٢٤ .

(٢٩) أم ١٠ : ١

إذا ذاكرت دروسك جيدا ، ونجحت وتفوقت ، إذا كنت
أمننا في عملك ونلت ثقة ومحبة رؤسائك ، إذا كنت إنسانا
ناجحا في ~~حياتك~~ ~~طبية~~ واسمك حلو في أفواه الناس ،
فانك بهذا النجاح تكرم أباك وأمك ، لانهما يبتهجان ويفتخران
بنجاحك .

أما ان كنت فاشلا في حياتك ، فان أباك لا يعرف أين
يخفى وجهه ، وكذلك أمك تخجل من فشلك . وان أتت سيرتك
في حضورهما أمام الناس ، يضع كل منهما وجهه في الأرض .
صدق الكتاب عندما قال «الابن الجاهل غم لأبيه ، ومرارة للتي
ولدتها» (٣١) ، « من ولد جاهلا فلدخزيه ، ولا يفرح أبو
الأحمق » (٣٢) . بل ان الكتاب يقول أكثر من هذا « الابن
الجاهل مصيبة على أبيه » (٣٣) .

ما أكثر الأمهات في التاريخ اللاتي فرحن بأولادهن
الناجين . . .

حنة فرحت بابنها صموئيل . ويوسف الناجح كان سبب
فرح لأبيه . وأكثر من الكل مريم العذراء فرحت بابنها
يسوع الذي « كان ينقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله
والناس » (٣٤) . لقد أكرمها ابنها بسبب حياته المثالية التي
كانت اعجاب الجميع .

(٣٢) أم ١٧ : ٢١

(٣٤) لو ٢ : ٥٢

(٣١) أم ١٧ : ٢٥

(٣٣) أم ١٩ : ٢٣

وعلى العكس من كل هذا ، كان الأبناء الضالون والفاشلون .
عيسو يقول عنه الكتاب انه كان سبب « مرارة نفس لاسحق
ورفقة » (٣٥) . وأوغسطينوس في ضلالة ١١٣ سر ينبوع
دموع مرة لأمة القديسة مونيكا .

اذن أيها الأحباء ، كونوا ناجحين في حياتكم ، لكي يفرح
آباؤكم بكم وتكرموا آباءكم بنجاحكم .

نقطة أخرى في اكرام الوالدين ، وهي العرفان بالجميل .

العرفان بالجميل

لا بد أن تعرف جميل أبيك وأمك عليك . لا أريد أن
أنصح بقراءة كتاب طبي أو نفسي ، لكي تدرك حالة الأم وقت
الحمل ، تلك التي حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وتعبت
من أجلك كثيرا .

ويكفي أنها من أجلك لم تدخل الكنيسة طول مدة نفاسها،
وبدلتها من فترات حبلها . يضاف الى هذا التعب الذي تعبته
من أجلك وأنت رضيع ، وأنت طبل صغير ، في ذنوبك ، في
بكاؤك ، في نظافتك ، في حملك على حجرها وعلى صدرها
وعلى كتفها . لا شك ان الطفل الرضيع يمكن أن يجعل أمه
أحيانا لا تستطيع أن تنام النوم . . .

(٣٥) تك ٢٦ : ٢٥

تأكد أن أمك لو كانت قد قصرت في العناية بك ،
لأصابتك أضرار وأخطار لا تدخل تحت حصر ... ان جميل
الأم لا يمكن أن ينساه انسان ...

من الجائز أن يقول انسان « صحيح ان أمي تعبت في
تربيتي زمان ، لكن دلوقت مكفرة سيئاتي » ... حتى هذا
ايضا لا يجعلك تنسى جميلها . أمك تشيلك وانت صغير ،
وانت تشيلها لما تكبر ، يعنى تحتملها ...

لا تنسى أيضا جميل أبيك عليك ، ذلك الذى تعب وكافح
من أجل تربيتك ، وقام بجميع مصروفاتك ، وأنفق عليك من
مرقه ومن دمه . وكان من يمسك كأنه يمس حذقة عينة .

ولا يكن عرفانك بالجميل من جهته قاصرا على تعب ماديا
من أجلك ، وانما عرفانك أيضا بالجميل من جهة ما أغدق
عليك من حب وحنان ، وما حباك به من عاطفة .

ولكى ندرك أهمية هذه العواطف ، يكفى ان نتأمل كيف
اذكثرا من الذين حرموا من حنان الأبوة وحنان الأمومة ،
وقوا في ازيمات نفسية خطيرة ومشاكل صعبة ...

ان كانت أمك تتعبك الآن أحيانا ، لأسباب معينة ،
فلا يصح أن تنسى لها الماضى الطويل الجميل . وتأكد انك
لو ابلت عطفها الماضى بقليل من عطفك حاليا ، فانها سوف
لا تنى لك هذه العاطفة ، وستصل بها الى أعماق قلبها ...

! أقسى على النفس أن تتعب أم دهرها طويلا بوليدها
الصغير ، حتى اذا شب وكبر ، تركها وكأنه لا يعرفها !! ...

نقطة ثالثة فى اكرام الوالدين ، وهى الاعالة .

الاعالة

يجب ان يعتنى الانسان بوالديه ، يعولهما ويهتم بهما ، ولا سيما فى فترات الشيخوخة أو الضعف أو المرض أو العوز .

لقد وبخ السيد المسيح جماعة الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقصرون فى اكرام الوالدين بحجة تقديم قربان للهيكل . فقال لهم « وأنتم لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فان الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أمًا موتا يموت . وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه « قربن هو الذى تنتفع به منى » ، فلا يكرم أباه أو أمه !! فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (٣٦) . وهكذا أظهر السيد الرب ان اكرامك أباك وأمك بمالك - حين يحتاجان اليه ، أهم من تقديمه قربانا للمذبح .

وهناك آية قوية جدا تتعلق بهذا الموضوع وردت فى رسالة بولس الرسول الأولى الى تلميذه تيموثيوس اذ يقول : « ان كان احد لا يعتنى بخاصته - ولا سيما أهل بيته - فقد أنكر الايمان ، وهو شر من غير المؤمن » (٣٧) .

اذن ، فكما أهتم بك والداك في صغرك ، يجب أن تهتم بهما عندما يكبران . خاصة أن الأب كلما تمر به الأيام ، تزيد أعباؤه . كان عنده قديما طفل أو طفلان . أما الآن ، فقد كثر أولاده ، وأصبح عنده مثلا أبناء في الجامعة ، وبنات يستعد لتجهيزهن للزواج

واذ كثرت النفقات ، ينبغي أن يتعاون كل أفراد الأسرة مر أجل القيام بمصروفات البيت . ولست أقصد بهذا التعاون أنا كلما يتوظف ابن جديد تزداد العناصر الترفيفية في البيت ، ويثر شراء الكماليات وأمور ليس فقط لا لزوم لها ، بل قد تكفي سسبيا لحطية . إنما نقصد بالاعالة الاهتمام الحقيقي بحايات الوالدين وحاجيات الأسرة ، برا بهم ، وردا للجميل الكب الذي لاقاه الابن في تربيته والعناية به حتى أصبح ذا موردوايراد .

؛ السيد المسيح - حتى وهو على الصليب - لم ينس أمه ، فعهد بها الى تلميذه يوحنا الحبيب ، وقال له « هوذا أمك » . ومن ك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته (٣٨) . فمن الواجد اذن أن يعتنى الابن بوالديه ويعولهما .

فوسننى الجوع لم ينس يوسف الصديق أباه وهو فى أرض بدة ، بل أرسل اليه يقول « هكذا يقول ابنك يوسف : انزل الى لا تقف . فتسكن فى أرض جاسان ، وتكون قريبا

(٨) يو ١٩ : ٢٧

منى أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك . وأعوذك
هناك ، لأنه يكون أيضا خمس سنين جوعا ، لئلا تفتقر ...» (٣٩)

قصة :

سمعت قصة وأنا فتى صغير ، تروى أن رجلا كان له
أب عجوز ، وكان يعتنى به . ولكن هذا الأب نظرا لشيخوخته
كانت تقع منه أطباق الأكل أحيانا فتتكسر . فضاق به أبه
وصنع له أطباقا من خشب حتى لا تنكسر ، وكان يضع له
فيها طعامه .

وكان لهذا الرجل ابن صغير [حفيد للأب العجوز .
وكان يذهب أحيانا إلى جده فيجده يأكل في أطباق من خشب .
فسأله أباه عن السبب . ولما عرفه قال لأبيه فى بساطة
« حافظ يا بابا على الطبق الخشب دا كويس ، علشان لما تكبر
وتبقى زى جدى ، أبقي أحط لك الأكل فيه » !! لقد ظر هذا
الطفل أن هذا هو النظام المتبع مع الكبار ...

حقا انه حسبما يكرم الانسان والديه ، سيكرمه ابناؤه
فيما بعد .

قصة اخرى :

قرأت قصة أخرى مؤداها أنه فى إحدى المرات غز جيش
الأعداء بلدا من البلاد وقتل الجنود كل من فيها . وك هناك
فى تلك البلدة اثنان من الشبان على معرفة بقائد الجيش الذى
غزا المدينة . وكانا قد فعلا معه جميلا من قبل أرادان يرداه

(٣٩) تك ٤٥ : ٩ - ١١

لهما • فقال لهما « احملا ائمن ما عندكما واهربا من البلد
بسرعة ، وأنا اضمن سلامتكما » •

فدخل الشابان الى بيتهما ليحملا ائمن ما عندهما • فحمل
الشاب أباه ، وحمل الشاب الثانى أمه ، وتركا المدينة •
كان هذان الوالدان هما ائمن ما عندهما فى هذه الدنيا
كلها •

المحبة والاهتمام

أول محبة يمارسها الانسان هى محبته لأمه ، ثم محبته
لأبيه • وهى محبة طبيعية لا يبذل مجهودا فى اقتنائها ،
ولا تحتاج الى مجهود فى المحافظة عليها • وهى أيضا محبة
متبادلة • وأى انحراف عن هاتى المحبة ، هو شذوذا غير
طبيعى ...

هذه المحبة لها عنصر ايجابى وعنصر سلبى •

أما العنصر الايجابى فهو عاطفة الحب التى يظهرها الابن
نحو أبيه وأمه ، وبذل كل ما يستطاع من جهد فى اراحتهما
وارضائهما وكسب بركاتهما ورفعاتهما • ويستمر هذا الحب
ومذا الارضاء طول الحياة • وحتى بعد انتقالهما الى العالم
الآخر ، يقيم الصلوات والقضايا عنهما ، وبذل وصاياهم
على قدر ما يستطيع •

**وأما العنصر السلبي ، فهو أن الابن لا يصح أن يفضى
أحدا من والديه أو يثيره ، أو يعامله ببغضة أو بقسوة ،
أو يتجاهل رأيه . ولا يصح للأبن أن يرهق والديه بكثرة
الطلبات وخاصة بما هو فوق طاقتهما . ولا يصح أن يبدد
مالهما ، أو أن يضيع سمعة الأسرة بسلوكه فى الفساد . وأكثر
عقوق يصل اليه الابن هو أن يتمنى الشر أو الموت لأحد من
والديه ...**

**لقد أمر الكتاب بقتل من ضرب أو شتم أبا أو أما . كما
لعن من يستخف بأبيه أو أمه .**

والاستخفاف فيه عدم احترام للوالدين .

**ومن أمثله أن يعامل الابن والديه على نفس المستوى ...
كأنه وهما فى درجة واحدة . يعنى الكلمة نرد بكلمة ،
والمناقشة نقابلها مناقشة ، والزعل يقابل بزعل ، والصوت
العالى يرد عليه بصوت عالى . كأن ما فيش فرق ... دا كلام
يحدث بين اثنين متساويين ، وعلى مستوى غير روحى . وقطعا
هذا لا يليق .**

**ينبغى على الابن أن يجعل نفسه فى الدرجة الأقل . يعنى
من حق أبيه أن يشخط فيه . وهو لا يرد على هذا الشخط ،
بل يسمع ويسكت . ان رفع أبوه صوته ، أو رفعت أمه
صوتها ، لا يرفع هو صوته فى مستوى صوت أبيه أو أمه .
ان عمل كده يبقى غلطان . ليس هذا هو أدب الحديث مع
الأب أو الأم ، وليس من الاحترام أن تعامل أيا منهما على نفس
مستواك ...**

اننى عشت فى بيت أخى الأكبر ومعى أخى الأوسط .
وصدقونى انه طوال الثلاثين سنة التى عشتها معها قبل أن
اترهب ، لم يحدث فى يوم من الأيام اننى ناديت واحدا منهما
باسمه المجرد . وكنت فى كثير من الأحيان عندما أحب أن
أنادى واحدا منهما ، اذهب الى عنده وأكلمه ، دون أن أنادى
عليه من بعيد . كنت أخجل من هذا ، لأنهما أكبر منى ،
ويجب أن احترامهما .

فإن كان هذا مع الأخ الأكبر ، فكم بالأولى الوالدين ؟

**ومن علامات احترام الوالدين خدمتهما فى كل ما يحتاجان
اليه .** ولا أقصد بالخدمة مجرد أن تطيع عندما يطلب منك
أبوك مثلا أى طلب . طبعا هذا واجب ، ولكننى أقصد أكثر من
هذا ان الابن الحكيم ينظر من تلقاء نفسه ما هو احتياج
أبيه وما هو احتياج أمه ، ويخدمهما دون أن يطلبوا منه ، فى كل
ناحية .

مثال ذلك : وجدت والدك واقفا ومتعبا ، لا تنتظر أن
يطلب منك احضار كرسى ليجلس ، بل اذهب من تلقاء نفسك
واحضره ، وقل له : تفضل يا أبى وأستريح . كنت حالسا
مثلا الى المائدة ، ووجدت صنفا ينقص أباك ، احضره له وضعه
أمامه . وجدت كوب الماء الذى أمامه فارغا ، املاه له . وجدت
أمك مثلا متعبة فى العمل ، تقدم وساعدها . لا تنتظر الى أن
تطلب منك . لا تجلس مثلا الى المائدة منتظرا حتى تضع والدتك
الطعام أمامك ، وانما اذهب واحضره معها . وفى نهاية الأكل
أرفع معها بقايا الطعام وساعدها .

أخدم أباك وأمك واحترمهما • ولا تظن انك بهذا تنقص
درجة • بالعكس ، انك تزيد وترتفع في نظرهما وفي نظر
الكل وأمام الله نفسه •

أمثلة من الكتاب :

انظروا سليمان الحكيم مثلاً وهو ملك جالس على عرشه ،
جاءت اليه والدته • فماذا يفعل سليمان ؟ يقول الكتاب « فقام
الملك للقائهما ، وسجد لهما ، وجلس على كرسيه ، ووضع كرسيه
لام الملك فجلست عن يمينه » (٤٠) •

ان سليمان الملك عندما قام عن عرشه وسجد لأمه ، لم
ينقص درجة بل زاد • أكثر اذن أن يقبل الشخص يد أبيه
أو أمه ؟ أو أن يقبل يد الكاهن الذي هو الأب الروحي ؟

مثال آخر هو يوسف الصديق ، وكان هو نائب فرعون
في حكم مصر كلها ، خاتم فرعون في يده ، وفي يده كل
السلطة والنفوذ ، والناس يركعون أمامه (٤١) • بل قد صار
« أباً لفرعون وسيدا لكل بيته » (٤٢) • ومع كل هذه العظمة
التي أحاطت بيوسف ، لم يستنكف من أبيه راعي الغنم ،
بل استقدمه الى مصر بمركبات أرسلها اليه • وشد يوسف
مركبته وصعد لاستقبال أبيه • وقدمه لفرعون ، ولم يستنكف
أن يقول عن أبيه وأخوته إنهم رعاة مواش (٤٣) •

(٤٠) ١ مل ٢ : ١٩ (٤١) تك ٤١ : ٤٠ - ٤٣

(٤٢) تك ٤٥ : ٨ (٤٣) تك ٤٦ : ٣١

انه درس يقدمه يوسف الصديق لمن يتنكر لابيه أو يستحي بسببه ، ان كان فقيرا ، أو جاهلا ، أو فى وظيفة بسيطة أو فيه عيب ما ...

يجب على الابن اذن أن يحترم أباه ويوقره ، ولا يستخف به ، ولا يستهين برأيه ، ولا يظن انه « دقة قديمة » ، وأنه من جيل قد مضت أيامه ليفسح الطريق للجيل الجديد (الصاعد) !
ولا يصح أن يسخر من أحد والديه سواء بالكلام أو بالنظر أو بأية حركة ، ولو عن طريق المزاح . فهذا كله لا يليق قال الكتاب « تهابون كل انسان أمه وأباه » (لا ١٩ : ٣)

الطاعة والخضوع

أمثلة رائعة للطاعة :

الطاعة عنصر جوهرى هام فى أكرام الوالدين . قيل عن السيد المسيح انه اطاع الآب حتى الموت موت الصليب (٤٤) .
وفى تجسده على الأرض قيل انه كان خاضعا لمريم ويوسف (٤٥)
خضع لمريم لأنها كانت أمه ، وخضع ليوسف مع أنه لم يكن أباه بالجسد ، وإنما كان بمنزلة الآب ، من جهة الرعاية ، ولأنه زوج الأم وقد اعتبر أبا له من جهة العرف ، حتى أن مريم قالت لربنا يسوع عن يوسف « أبوك وأنا كنا نطلبك معذنين » (٤٦) .

(٤٤) فى ٢ : ٨ (٤٥) لو ٢ : ٥١ (٤٦) لو ٢ : ٤٨

ان خضوع الرب لمريم ويوسف هو درس عظيم نافع لنا .
لقد خضع لهما هذا الذي تخضع له الملائكة ورؤساء الملائكة !
الذي تجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن
تحت الأرض (٤٧) . ان الرب يريدنا بنفسه الى أى حد يجب
أن تنفذ الوصية الخامسة .

ومن الأمثلة الرائعة فى الكتاب المقدس لطاعة الوالدين ،
مثال اسحق مع ابيه ابراهيم ، حيث أسلم نفسه لأبيه ليقدمه
محرقة للرب . ومن أمثلة هذا الخضوع العجيب أيضا ما فعلته
ابنة يفتاح الجلعادى ، التى أسلمت نفسها لأبيها ليتم فيها
نذره (مع انه نذر خاطئ) . فقدمها أبوها محرقة للرب (٤٨) .

ومن أمثلة الطاعة التى رواها الكتاب فى أعجاب ، وبكت
بها الرب عدم طاعة بنى اسرائيل له ، مثال طاعة بنى ركاب
لأبيهم الذى كان قد أوصاهم قائلا « لا تشربوا خمرا أنتم
ولا بنوكم الى الأبد . ولا تبنوا بيتا ، ولا تزرعوا زرعاً ،
ولا تفرسوا كرماً ، ولا تكن لكم . بل اسكنوا فى الخيام كل
أيامكم » (٤٩) . وقد سر الرب كثيرا بطاعة بنى ركاب لأبيهم ،
وقال لهم « من أجل انكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم ،
وحفظتم كل وصاياهم وعملتكم حسب كل ما أوصاكم به ،
لذلك . . . لا ينقطع ليوناداب بن ركاب انسان يقف أمامى كل
الأيام » (٥٠) .

(٤٧) فى ٢ : ١٠ (٤٨) قضى ١١ : ٣٠ - ٤٠

(٤٩) أر ٣٥ : ٦ - ١٠ (٥٠) أر ٣٥ : ١٨ ، ١٩

نعم ، ما أجمل الطاعة للوالدين . لذلك يوصينا الكتاب
بها قائلا « اسمع يا بني قاديبي أبيك ، ولا ترفض شريعة
أمك ، (٥١) » .

نعم ، ما أجمل الطاعة ، وما أجمل الخضوع . انهما ثمرتان
من ثمار الاتضاع ، ومن ثمار التأدب . وهما دليلان على الوداعة
والمحبة ...

وفي الطاعة أيضا نكران الذات ، وجحود المشيئة الخاصة .
ولا شك أن الطاعة تكبر وتعظم كلما أطاع الانسان فيما هو
صد مشيئته ، وأخضع مشيئته لغيره .

ومن الكلمات الجميلة في الطاعة ، قول السيد المسيح له
المجد « لأنى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة
الذى أرسلنى ، (٥٢) » .

عناصر الطاعة :

من المفروض اذن فى الابن أن يطيع والديه : طاعة قلبية
عن حب ورغبة فى الارضاء ، وطاعة حقيقية ليست ظاهرية ،
وطاعة عن رضى بغير تدمير ، وطاعة سريعة بغير تلكؤ ، طاعة
فى غيبتهم وفى حضورهم . وأخيرا طاعة فى الرب .

أ - طاعة حقيقية :

يجب على الابن أن يطيع والديه ، ليس مجرد الطاعة لكلامهم
فقط ، وانما لمشاعرهم الداخلية ، طاعة تهدف لارضاء قلبهم ،
حتى ان قالوا كلاما باللسان غير ما يحبونه .

(٥١) أم ١ : ٨ و ٦ : ٢٠ و ٢٣ : ٢٢ (٥٢) يو ٦ : ٣٨

قصة : ومثال ذلك قصة قراتها عن طفل صغير ، انه كان يريد أن يذهب الى حفلة معينة مع زملائه . فطلب من والدته أن تأذن له بالذهاب ، فرفضت وقالت له « لا تذهب » . فتضايق الطفل لأنه كان يريد أن يحضر الحفلة . ولما رأت أمه أنه حزن وتضايق ، سمحت له أن يذهب على مضض منها . ولكن هذا الطفل فكر في الأمر . وقال في نفسه « ان والدتي غير مستريحة لذهابي ، وهي من أجل ارضائي فقط سمحت لي ، ولكنها غير مستريحة في قلبها من الداخل . ومعنى هذا انني لو ذهبت فسأحزن قلبها ، فالأفضل اني لا أذهب » . وأخيرا فان هذا الطفل المطيع منع نفسه من تحقيق رغبته ، محبة في والدته ورغبة في ارضاء قلبها . ولم يقتنع ضميره بتلك الموافقة الظاهرية التي حصل عليها ..

انه درس لنا . لأنه قد يوجد ابن يريد أن يطيع والديه شكليا . فان رفضا له طلبا ، يظل يضغط ويلح ، ويضغط ويلح ، وقد يتضايق وقد يحزن حتى يسمع كلمة « خلاص وافقنا » . ويأخذ كلمة « وافقنا » ، ويروح لاقطها بسرعة قبل ما يرجعوا في كلامهم . ويسمح لنفسه أن يفتخر بعد ذلك ويقول « انا عمري ما خالفت !! انا أخذت الموافقة » ! .

صحيح انها موافقة ، ولكنها اتت عن طريق الضغط .
انها مجرد موافقة لسان ، ولكن القلب غير موافق من الداخل والمفروض في طاعة الوالدين ، انها تكون طاعة حقيقية غير شكلية ، يكسب فيها الابن رضى والديه وموافقتها القلبية .

ب - طاعة سريعة :

يجب أن تكون الطاعة أيضا بسرعة ، بغير تباطؤ ، ولا تلوؤ ، ولا تأخير . ما فيش كلمة « طيب بعدين » طيب كمان شوية ، بكرة ان شاء الله ، ... هذا الكلام لا ينفع .

الابن البار هو الذى يطيع بسرعة . ما ان تخرج الكلمة من فم أحد والديه ، حتى توضع مباشرة موضع التنفيذ . ان فعل الابن هكذا ، لابد أن يحصل على محبة والديه وينال البركة والدعاء ...

قصة من البستان : توجد قصة لطيفة فى بستان الرهبان

عن الطاعة : قيل مرة لأحد الشيوخ « لماذا تحب ابنك الروحى فلان أكثر من الباقين وتفضله عليهم ؟ » . فأجاب سائليه « انتظروا ، وانظروا » . ثم نادى على تلاميذه طالبا شيئا . فتباطأ الكل فى التنفيذ . أما هذا الابن ، فإنه كان جالسا يكتب . فلما سمع نداء أبيه الروحى ، قام بسرعة ، كدرجة انه لم يكمل كتابة الحرف الذى وصل اليه عند سماعه صوت معلمه . ولما رأى الناس ذلك اندهشوا ...

هذه الطاعة السريعة نجدها واضحة أيضا فى العسكرية .

لابد للجندي أن يطيع بسرعة ، بغير تأخير ولا تباطؤ . ولعل هذه هى الفضائل التى يحصل عليها من تدرب فترة فى الجيش .

ج - طاعة فى غيابهما :

والطاعة الخالصة التى تهدف الى نوال رضى الوالدين تكون فى غيابهما كما فى حضورهما .

قصه : يحكى عن أحد شيوخ أن أتى إليه شخص به يدعونه بذهب معهم إلى مكان ما ، فاعتذر قائلاً « لا أستطيع ، لأن وادى أمرى بعدم الذهاب إلى

هناك » . ثم أتته : « لا تخف . حال معنا ، وأبوك سوف لا يعلم » . فأجابهم « نعم ، يمكن أن أذهب دون أن يعلم أبى ، ودون أن يشعر أحد . ولكنى إن فعلت هذا ، فإننى عندما أرجع لا أستطيع أن أرفع عيى فى وجه أبى . سيملكنى شعور بالخجل منه لأنى خالفت كلامه .. »

(د) طاعة برضى :

«بغى للطاعة الحقيقة أن تكون برضى القلب ، بدون تدمير ، هناك أولاد ينفذون الأمر ، ولكن يتدمر القلب وأحياناً يتدمر اللسان . يعيشون فى الطريق وهم يكتمون أنفسهم ويتلفظون بعبارات احتجاج وسخط على هذا الأمر الذى ينفذونه . هؤلاء يطيعون طاعة آلية ، عن غير رغبة ، وعن غير حب . وقد ينفذون الأمر لى صدر إليهم دون أن يكسوا قلب الذى أمرهم ورضاه . وقد يكون سعيهم أحياناً عن خوف ، وليس عن حب وإكرام ... »

وهناك من لا يطيعون إلا بعد جدل شديد ونقاش عنيف . وكل أمر يصدر إليهم يقتلونه فحماً وتحليلاً ، ويرهقون أعصاب من أمرهم بكثرة النقاش ، لدرجة أن الأب قد يترك عن أمره من تعب النقاش ، أو مضى عدم سبب شىء من مثل هذا لأن الكثير الجدال ... »

ما أجمل قصة شجرة الطاعة ، التي فيها أمر ذلك الشيخ القديس تلميذه يوحنا بأن يفرس عصا ناشفة ويرويها كل يوم . وظل ذلك الابن المطيع يروي الحشبة ثلاث سنوات دون جدال أو نقاش ، على الرغم من غرابة الأمر الصادر إليه . ومن أجل إيمانه وطاعته ، أثمرت تلك العصا كما أفرخت عصا هارون ، وصارت شجرة دعيت (شجرة الطاعة) .
أخيرا هناك صفة أساسية في الطاعة ، وهي أن تكون :

طاعة في الرب

هكذا قال الرسول «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب، لأن هذا حق» (٥٣) . وعبارة (في الرب) معناها « في حدود وصايا الله » . حقا إذن ما أجمل الطاعة والخضوع ، ولكن في الرب .

فإن أطعت أبا أو مرشدا فيما يخالف وصايا الله ، فإنكما كلاكما تسقطان في حفرة ، هذا إذا كانت المخالفة واضحة . نقول هذا لأنه يوجد أحيانا بعض آباء منحرفين . . .

كن مطيعا يا أخى ، واخضع فى كل شيء ، بكل انقياد ، حتى الموت ، انكر ذاتك ، وانكر مشيئتك ، وانكر كرامتك . ولكن لا تنكر ضميرك .

وفى الطاعة ، أسلك بحكمة ، وبافراز . وتذكر قول

(٥٣) أف ٦ : ١

القديس أنطونيوس الكبير (*) « ان أمرت بشيء يوافق مشيئة الله فاحفظه . وان أمرت بما يخالف الوصايا ، فقل ان الطاعة لله أولى من الطاعة للناس . واذكر قول الرب : ان غنمى تعرف صوتى وتتبعنى وما تتبع الغربى » (يو ١٠) .

مثال بنى ركاب :

لعل من أروع الأمثلة للطاعة ، ما فعله بنو ركاب ، مما ورد شرحه فى الاصحاح ٣٥ من سفر أرمياء النبى ، هؤلاء الذين أراد الرب أن يقدمهم مثالا للطاعة يبكى به عصيان اسرائيل (**). . . فأرسل اليهم أرمياء النبى ليقول لهم : « اشربوا خمرا » .

وكان الرب يعلم انهم سوف لا يطيعون حتى هذا النبى العظيم . وكان يعلم ان فى عدم طاعتهم للنبى يكمن عمق الطاعة ، فى معناها الحقيقى ، فى حكمة واقرارا . . .

أخذهم النبى الى بيت الرب ، الى أحد المخادع ، حسب قول الرب له . ووضع أمامهم طاسات ملأه خمرا وأقداحا ، وقال لهم « اشربوا خمرا » . فقالوا « لا نشرب » .

قالوا كلمة « لا » للنبى ، وقالوها بضمير مستريح ، ولم يخافوا . وسر الله جدا بعدم طاعتهم للنبى ، وكافأهم على ذلك . لقد كان هذا من الرب اختبارا لهم لتقديمتهم كمثال . واعتبر الرب موقفهم هذا انموذجا عاليا للطاعة ، مدحهم بسببه

(*) بستان الرهبان ج ١ ص ٩

(**) انظر ص ٢٨ من هذا الكتاب

وكافاهم عليه ، وبكت بهم شعبه العاصي !!

كانوا مقدرين انهم لو اطاعوا ارمياء النبي العظيم في هذا الامر ، لكانت طاعتهم له كسرا للمبدأ الروحي السليم الذي ساروا عليه زمنا طويلا ، مطيعين فيه الوصية الخامسة التي امر بها الله من قبل . ووصايا الله لا ينقض بعضها بعضا ..

وهنا - اذ ننظر في اعجاب كبير الى موقف الركابين - نتأمل في اعجاب أكبر قول بولس الرسول في الطاعة :

«... ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن انائما (اي محروما) (٥٤) .»

لاحظوا أن الرسول لم يقل « ان بشرناكم نحن او ملاك بغير ما بشرناكم به ، فلا تطيعوا » ، وانما قال أكثر من هذا « فليكن محروما » ...

وقد استفاض القديس باسيليوس الكبير في شرح هذه الآية ، مبينا أهمية هذا المبدأ العظيم الذي قدمه لنا الرسول عن الطاعة ، وقال معلقا في بيان خطورة هذا المبدأ « ان بولس الرسول جسر في ذلك أن يحرم ملائكة » .

ولما كان موضوع الطاعة والخضوع حساسا ومهما بالنسبة الى غالبية انواع الأبوة ، لذلك قد خصصنا له الفصل المقبل من هذا الكتاب ...

.....

(٥٤) غل ١ : ٨

الفصل الثالث

حَوَلِ الطَّاعَةِ وَالْخُضُوعِ

انه سؤال كثيرا ما يعير الناس وهم يقولون :
الى اى حد يطيع الانسان ويخضع ؟ وهل هى طاعة مطلقة؟
وماذا يفعل اذا اصطدمت الطاعة بضميره؟ هل يخضع -تواضعا-
ام يطيع ضميره حتى ان وصفوه بالكبرياء ؟!

نجيب بأن الطاعة ينبغى ان تفهم فى حكمة ، كما ينبغى
ان يفهم التواضع فى حكمة أيضا . الطاعة أولا وقبل كل شئ
وقبل كل أحد ، موجهة الى الله . ثم بعد ذلك نطيع الناس فى
نطاق طاعتنا لله .

اما اذا اصطدمت الطاعتان ، طاعة الله بطاعة الناس ،
فلاشك ان ضمير الانسان يصغى حينئذ الى قول بطرس الرسول
« ينبغى ان يطاع الله اكثر من الناس » (٥٥) .

اذن فى حدود وصايا الله ، وداخل نطاق الوصية ، ينبغى
لك ان تطيع والديك . فاذا أمرك أب أو أم أمرا يكسر وصية
من وصايا الله ، حينئذ بضمير مستريح لا تسمع لآى منهما .

(٥٥) أع ٥ : ٢١

ان الله يطالب بطاعتها طالما كانت أوامرها لا تتعارض مع طاعة الله .

أمثلة من الانحراف :

● ان قال لك أبوك مثلا « لو حد سأل عني ، قل له اني مش هنا » ، فلا يصح حينئذ أن تطيعه . ويمكنك أن ترفض هذا الأمر في أدب وذوق .

● وان كان أبوك تاجرا ، واشترى بضاعة بعشرين جنيها ويريد أن يبيعها بأربعين . لذلك قال لك « ان سألك أحد عن البضاعة قل له اننا اشتريناها بسبعة وثلاثين جنيها ، ففي هذا أيضا لا يجوز أن تطيع . في كل هذا تتذكر الآية التي تقول « اطيعوا والديكم في الرب » .

في أمثال هذه الأمور لا يصح أن يحتج الآباء قائلين : أين الوصية الخامسة ؟! الوصية الخامسة ذكرت في مقدمة اللوح الثاني ، ومخالفتها لها عقوبات كذا وكذا ١٠٠ لذلك ان اراد الآباء أن يطيعهم الأولاد ، عليهم ان يصمدوا أوامرهم في حدود وصايا الله .

● من المشاكل البارزة التي تقابل الأبناء المتدينين هي أوامر والديهم ان كانوا غير متدينين .

يقول الأب مثلا لأولاده « تعالوا لما افسحكم الليلة دي في السينما » ، وقد تكون رواية خليعة ! ويفتكر انه ها يعمل فيهم معروف . ها يفسح عياله ، وها يصرف عليهم ، ويقطع لهم تذاكر ١٠٠ ويكون لهذا الأب ابن متدين ، فيعتذر عن هذه

الفسحة • ويصر الأب على طلبه • لا يعنى ايه ؟ أنا قلت تروح
يعنى تروح،! ويثبت الابن على مبادئه الروحية فيرفض الذهاب •

وهنا بدلا من أن يترك الأب ابنه على حريته ، ويشجعه
في تمسكه بالدين ، يظن المسكين أن سلطته قد اهتزت ،
وتتحول منحة الى امر واجب التنفيذ! ويتمسك بسلطانه كاب،
ويتمسك بالوصية الخامسة التي لا تنطبق بحرفيتها وقتذاك •
ولكنه يلجأ الى الاتهام والى العقاب : اتهام ابنه بهذا التدين ،
ومعاقبته على تدينه !

وفي غضبه يقول هذا الأب لابنه «م'فيش» علمك العصيان
والتمرد غير الكنيسة ومدارس الأحد • يبقى لا هاتروح
الكنيسة ، ولا تروح مدارس الأحد بعدكده • انه أب منحرف
وتكون النتيجة أن الولد يقف أمام مشكلة :

أيهما يطيع : هل يطيع الله أم يطيع أباه الجسداني ؟

هل يطيع أباه الذي في السموات أم أبا منحرفا على
الأرض ؟!

ولأن الابن رفض حضور رواية خليعة في السينما، حدثت
كل هذه الثورة من هذا الأب المهتم بسلطته وحرفية أوامره
دون الاهتمام بروحيات أولاده ! ومن هذه النقطة يبدأ في
وصف الابن بالعقوق والعصيان والتمرد وعدم احترام الوالدين :
الى آخر ما يصل اليه هذا السخاء العجيب في الشتائم !!
ويبدأ في أن يحرم الابن من المصروف ، ثم يبدأ سلسلة أخرى
من سوء المعاملة • ويحمل الابن في كل يوم صليباً • •

● ونفس هذه الثورة تحدث من الأم التي تصر أن تلبس ابنتها المتدينة ملابس تكشف جسدها ، كما تصر أن تدهن وجه ابنتها بأنواع من الملاء لا يريح ضميرها .

وتصر الابنة المتدينة على أن تكون محتشمة في ملابسها وفي زينتها . فبدلاً من أن تلاقى تشجيعاً على تدينها ، تقابلها أم بثورة « انت هاتفضحيننا !! عايزاهم يقولوا عليك انك ولاحة . يقولوا انك بنت مش عصرية . يقولوا مالهاش ام تعتنى بها . لازم تطاوعى وتلبسى غصب عنك ، ... والا : « مافيش كنيسة ، مافيش مدارس أحد ، مافيش مصروف !! من أجل العصيان ، والتمرد ، والعقوق !! نفس نعمة الأب وطريقته ...

أيها الآباء والأمهات :

إذا أردتم أن تحتفظوا بكرامتكم ، اجعلوا أوامركم ونصائحكم لأبنائكم المتدينين وبناتكم المتدينات مطابقة لوصايا الله ، ومريحة لضمائرهم . اصدروا أوامر يمكنهم أن ينفذوها . والمثل يقول « إذا أردت أن تطاع ، فسل ما يستطاع » .
ان الله يوصى بطاعة الوالدين . هذا حق . ولكنه يقول أيضاً : « طيعوا والديكم في الرب » .

والمسيحية ليست مجرد آية واحدة نأخذها ونطير ، وإنما هي روح معينة يقدمها لنا الله في كتابه . ومن الخطر أن نأخذ جزءاً من التعليم ، ونترك الجزء الآخر المكمل له ، لأن انصاف الحقائق ليست كلها حقائق .

لا تغيظوا أولادكم :

فلنتأمل ما قاله بولس الرسول في رسالته الى أفسس :
قال : أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق .
أكرم أباك وأمك . . . هذا هو نصف التعليم . وما هو النصف
الآخر ؟ يقول : « وانتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل
ربوهم بتأديب الرب » (٥٦) .

اذن نصف التعليم موجه الى الأبناء « اطيعوا والديكم في
الرب » . والنصف الآخر موجه الى الآباء « لا تغيظوا أولادكم » .
وعبارة « لا تغيظوا أولادكم » كررها بولس الرسول مرة
أخرى في رسالته الى كورنثوس ، مع تحذير موجه الى الآباء .

قال « أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء ، لأن هذا
مرضى ، في الرب » . هذا هو نصف التعليم . وما هو النصف
الثاني ؟ يكمل الرسول كلامه قائلا « أيها الآباء لا تغيظوا
أولادكم لئلا يفشلوا » (٥٧) .

نصف الآية موجه الى الأبناء ، ونصفها الثاني الى الآباء ،

لا تَغِيْظُوا أَوْلَادَكُمْ لِئَلَّا يَفْشَلُوا
(كورنثوس ٣ : ٢١)

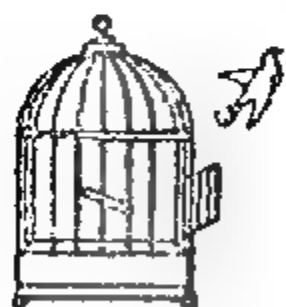
(٥٦) أفسس ٦ : ١ - ٤

(٥٧) كور ٣ : ٢٠ ، ٢١

وكان الله يخاطب كل أب هكذا : ابنك هذا ، أنا وضعت
في يديك ، وأعطيتة وصايا كثيرة أن يطيعك ...

ولكن عليك أنت ألا تستغل هذه الطاعة في أن تضغط
عليه ، وتتعب نفسيته وضميره ، وترهقه بما هو فوق طاقته ،
لئلا يفشل . وان فشل ، سأطلب دمه من يديك .

لذلك كما تكلمنا عن واجب الأبناء حيال آبائهم ، لا بد
أن نتكلم أيضا عن واجب الآباء حيال الأبناء .
وهذا ما سنخصص له الفصل المقبل من هذا الكتاب .



الفصل الرابع

واجب الآباء نحو أبنائهم

ان اكرام الوالدين ، يقابله هو أيضا ذلك المبدأ المعروف :
كل حق يقابله واجب

فلا يصح أن الوالدين يطالبان على الدوام بحقوق ، دون أن يؤدوا ما عليهم من واجبات . هذا أقوله للآباء والأمهات .
أما للأبناء فأقول : يجب عليكم أن تكرموا والديكم حتى ان لم
يقم أحد منهما بواجباته نحوكم ..

ومن أهم واجبات الآباء والأمهات : تربية الأبناء في خوف
الله ، وحسن معاملتهم ، والانفاق عليهم ، ورعايتهم وتعليمهم ،
وتقديم حياتهم قدوة صالحة لهم ، وتأديبهم كما يليق ، في
حزم ممزوج بحبة وعطف .

تربية الأولاد في خوف الله :

ان الآباء والأمهات هم أشاوين لأولادهم ، تعهدوا امام

الكنيسة فى يوم عمادهم أن يربوهم فى حياة الايمان والفضيلة .
فهم مسئولون أمام الله عن أبنائهم فى تنشئتهم تنشئة روحية
صالحة .

غير أن كثيرين من الآباء والأمهات يقصرون اهتمامهم بأولادهم
على الأمور الجسدية والمادية فقط دون الاهتمام بروحياتهم .

كل اهتمامهم بأولادهم منصب على نواحي المأكل والملبس ،
والصحة الجسدية ، وتهيئة الابن لكى يجد وظيفة ومركزا ،
وتهيئة البنت لكى تتزوج وتستقر فى بيت . أما حياة أولادهم
الروحية ، وضمان مستقبلهم الأبدى ، فهى أمور ليست موضعاً
للتفكير ، كان لا أهمية لها فى نظر الآباء والأمهات !!

فإن شب أحد من أولادكم فاسدا أو سىء الخلق أو كان
سببا فى تعبكم ، فلا شك أنكم تحصدون ثمرة أيديكم .
لقد كان هذا الابن فى يوم من الأيام عجينة لينة طيبة فى
أيديكم تشكلونها كما تشاءون ، فلماذا لم تهتموا به لكى يكون
ابنا صالحا يفرح قلوبكم ويفرح قلب الله ؟

اننا لا ننكر أنه يوجد أحيانا بعض أولاد شواذ ...

فآدم كان من أولاده هابيل البار ، وأيضا قابيل القاتل .
ونوح كان من أولاده سام ويافث المباركان ، وأيضا حام الذى
لم ينستر عورة أبيه وتسبب فى لعنة كنعان . ويعقوب كان
من أولاده يوسف الصديق ، وأيضا اخوته الذين باعوه وكذبوا
على أبيهم يعقوب . واسحق نفسه كان من أولاده يعقوب البار .

وأيضاً عيسو المستبيح الذى باع البكورية بأكلة عدس ...
وما أكثر الأمثلة ان حاولنا أن نحصيها .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك ابنك يفسد ، وتقول : انا
مثل أبينا اسحق الذى كان ابنه عيسو قاتلاً ومستبيحاً ! ..

ليس هذا عذراً لك ، فربما ظروفك وظروف ابنك تختلف
عن حالة اسحق وعيسو . أما ان كنت قد بذلت كل جهدك
فى سبيل حياة ابنك الروحية ومستقبله الأبدى ، ولكنه على
الرغم من كل هذا انحدر الى الفساد لظروف خرجت عن ارادتك
ففى هذه الحالة يكون لك عذر ...

الزواج مسئولية أمام الله :

ما دام الوالدان مسئولين أمام الله عن تربية أبنائهما وتقديم
حياتهم قذوة عملية صالحة أمامهم ، إذن فالزواج هو مسئولية
بلا شك ...

ان الزواج ليس مجرد علاقة بين رجل وامرأة ، وإنما هو
مسئولية تحتاج الى كفاءة وإلى مؤهلات أبوة وامومة ...

هل يصلح هذا الرجل المتقدم للزواج لأن يكون أباً ،
يربى أولاده حسناً ، ويكون قذوة صالحة لهم ؟ وهل تصلح
هذه الفتاة لأن تكون أما تربي أولادها حسناً ، وتكون قذوة
صالحة لهم ؟ وهل يصلح الاثنان لأن يكونا زوجين مثاليين ،
يؤسسان بيتاً مقدساً ، لا خلاف فيه ولا شجار ، ولا خطأ
يعثر الأولاد ؟؟

ان الامومة والابوة ، يحتاجان هما أيضا الى مؤهلات :
من حيث النضوج الروحي والذهنى ، والفهم السليم لواجبات
الامومة والابوة ، وفهم نفسية الاولاد ، والقدرة على تربيتهن .

العجيب ان كل شاب يتقدم لخطبة فتاة ، يحصر تفكيره
فى نقطة واحدة وهى : هل هذه الفتاة تصلح لأن تكون رفيقة
تسعد حياته ؟ دون أن يفكر فيها : هل تصلح أما أيضا أم لا .
ونفس التفكير يكون عند الفتاة نحو خطيبها !!

وتكون النتيجة أن ينبج الزوجان بنين ، وهما لا يعرفان
طريقة التربية . فان أخطأ الابن ، يقابلانه بالضرب ، والنرفزة
والشتيمة ! ويتهمانه بالعقوق والتمرد والفساد ! ولكن ما هو
واجبكما فى تربيته ؟ لا شئ ، سوى التمسك بالوصية الخامسة
كانها مصدر للسلطة دون القيام بواجبات الابوة وبواجبات
الامومة !

ان الابوة هى واجب ومسئولية ، وليست مجرد سلطة .
الابوة هى رعاية ، هى عناية ، هى اهتمام ، هى حب وعطف
وحنان ، هى جهد باذل فى سبيل الأبناء حتى ينشأوا كاملين
وصالحين وبنفس الأسلوب ننكلم عن الامومة .

أمثلة فاضلة

وهنا نذكر بمزيد من الفخر أم صموئيل النبى ، التى ربت
ابنها فى مخافة الله ، ووهبته لخدمة الهيكل . وقالت عبارتها :

الجميلة » لأجل هذا الصبى صليت، فأعطاني الرب سؤالى الذى
سألته من لدنه • وأنا أيضا قد أعرتة للرب • جميع أيام حياته
هو عارية للرب ، (٥٨) •

ونذكر أيضا فى اعجاب أم القديس تيموثاؤس الذى أرسل
اليه بولس الرسول يقول « أتذكر الايمان العديم الرياء الذى
فيك ، الذى سكن أولا فى جدتك لوئيس وأمك افنيكى •
ولكنى موقن أنه فيك أيضا » (٥٩) •

وبمزيد من الفخر أيضا نذكر أم القديس أوغسطينوس ،
القديسة مونيكا التى ظلت تبكى على ابنها حوالى العشرين سنة
متضرعة الى الله من أجله ، وموصية عليه القديس امبروسىوس
أسقف ميلان • حتى قال لها ذلك الأسقف البار « ان ابن هذه
الدموع لا يهلك » • وفعلًا تاب أوغسطينوس وصار قديسا
بصلوات أمه ودموعها •••

ونذكر أيضا بكل تمجيد وتقديس أمهات الشهداء الأبرار
اللاثى ربين أولادهن فى حب الله ، وكن يشجعن أبناءهن ء
الموت • وواحدة منهن استشهدت ابنتها على حجرها • هؤلاء
القديسات كان حنانهن الروحى طاغيا على كل حنان جسدى •
ولعل من الأمثلة الرائعة فى الأمومة ، أم موسى النبى ••
ما أعجب تأثيرها الروحى العميق على ابنها على الرغم من ضآلة
فترة الطفولة التى قضاها معها • ما هى الفترة التى قضاها

(٥٨) ١ صم ١ : ٢٤-٢٨ (٥٩) ٢ تي ١ : ٥

موسى مع أمه ؟ ان ابنة فرعون سلمته أياها رضيعا . وظل معها حتى فطم وكبر واستطاع أن يمشى على رجله . . . وعندئذ أرجعته الى ابنة فرعون فصار لها ابنا . . .

ولكن هذه الأم العجيبة المتديّنة ، استطاعت في تلك السنوات القليلة أن تشبع ابنها بكل مبادئ الدين ، وتغرس فيه كل قواعد الايمان . حتى أن أربعين سنة قضاها موسى في قصر فرعون بكل ما فيه من عبادة وثنية ، لم تستطع أن تنزع منه الايمان الراسخ الذى أخذه من أمه في سنوات طفولته الأولى . . .

انها فترة ضئيلة تلك التى عاشها مع أمه ، ولكن كم كان أعمقها . بها تأهل للخطوة الأولى من زعامته الروحية . . .

وأنت أيتها الأم الحاضرة معنا الآن ، كم سنة قضاها ابنك فى رعايتك ، أو كم عشرات السنوات ؟ أراك بعد عشرين سنة من ولادته تبكين من سوء خلقه ومن شراسة طبعه !!

طوال هذه السنين التى قضاها معك، ما هو التأثير الروحى الذى أخذه منك ، وخاصة عندما كان عجيبة لينة فى يديك ؟!

ليتك تأخذين قدوة صالحة من أم موسى وغيرها من الأمهات القديسات ، حتى تعرفى حقيقة واجبك الروحى كام . . .

وقبل أن تسألى عن مدى طاعة ابنك للوصية الخامسة ، نسألك نحن : ما هو الاعداد الروحى الذى أعددت به ابنك، ليكون ابنا صالحا ينفذ هذه الوصية وغيرها من الوصايا ؟!

وما أقوله للام ، أقوله أيضا للاب .

ولنضع أمامنا ، قصة على الكاهن ، الذى لم يرب أولاده .
فى خوف الله . ولنخف من المصير المريع الذى تعرض له نتيجة
لاهماله فى تربية أبنائه . . . (٦٠)

العمل الروحى فى البيت :

وأنتم أيها الآباء والأمهات ، ما هو العمل الروحى الذى
تقومون به فى بيوتكم المقدسة ، من أجل أنفسكم ، ومن أجل
أولادكم ؟

**هل لكم صلوات عائلية ، تجتمع فيها الأسرة كلها معا
للصلاة ، وتعودون أولادكم الصلاة من صغرهم ؟ وعلى الأقل
هل أنتم تصلون من أجل أولادكم ، بمواظبة ؟**

وهل تقيمون القداسات وترفعون القرايين من أجل أولادكم .
ان أيوب الصديق فى العهد القديم يوبخنا جميعا بما كان
يفعله . لقد كان مواظبا على تقديم المحرقات من أجل أولاده
« على عددهم كلهم » « لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنى وجدفوا
على الله فى قلوبهم . هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام » (٦١)

وهل تقرأون الكتاب ، وتشرحون قصصه لأولادكم ،

(٦٠) ١ صم ٣ : ١٠-١٤ ، ٤ : ١٨

(٦١) أيوب ١ : ٥

وتحفظونهم آياته ؟ . . هكذا قال الرب لكل منا من جهة وصاياه » ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك « (٦٢) فمن منكم ينفذ هذه الوصية فى بيته ؟

فى مرة من المرات أشار لى صديق على أحد الشبان ، وقال لى : انه من عائلة طيبة . اننى أذكره منذ كان طفلا صغيرا وكانت أمه قديسة ، تاتى به وبأخويه معه الى الكنيسة ، وتسجد مع أولادها الثلاثة أمام المذبح بكل خشوع . ولقد مرت سنوات طويلة ، وصار هذا الطفل شابا ، ولكنى لم أنس أبدا منظر تلك الأم القديسة هى وأطفالها الثلاثة ، وهم سجدوا معا بكل خشوع أمام المذبح . . .

ان التربية الروحية منذ الصغر لها تأثيرها بلاشك ، خاصة فى البيت المسيحى الذى تسوده المحبة والسلام والقدوة الصالحة .

حنان جسدى لا روحى !

غلطة الوالدين أن حنانهما فى غالبية الأوقات يكون حنانا جسديا . أما الحنان الروحى فهو غير موجود .

ياتى الصوم . فماذا يسمع الأبناء من والديهم ؟
« يا أولاد ، انتم صحتكم ضعيفة ، بلاش صوم » !! وماذا عن

(٦٢) تث ٦ : ٦ ، ٧

صحتهم الروحية ؟ هذه للأسف الشديد لا تدخل مطلقا في برنامج تربية الوالدين لأبنائهم ! المهم انهم عايزينهم يسمنوا ، عايزينهم يكبروا . كما لو كانت وظيفتهم فقط هى تربية لحوم ! أو كما لو كانوا آباء وأمّهات للأجساد فقط وليس للابن كله ، كإنسان كامل ، بجسده وروحه .

ما أجمل ان يأتى الصوم ، فتقول الأم القديسة لأولادها « يا اولادى ، لا يصح ان يمر علينا هذا الصوم بدون ان نستفيد روحيا . لازم نذل اجسادنا علشان نحيا ارواحنا وننمو . لأنه ليس بالحبز وحده يحيا الانسان ؟ . حينئذ ينظر الأولاد الى أمهم باحترام ، ويقولون « أمنا دى ، ست قديسة » .

أما ان قالت لهم نفس العبارة « مافيش صيام . انتم ربيعين » ! وان انضم الأب لها فى هذا الراى ، فآية فكره اذن سيأخذها الأبناء عن والديهم ؟ بلا شك سيحاربهم الفكر بأن والديهم بعيدان عن الحياة الروحية ، وأن همهما كله فى الجسد وشكله ونموه !!

ما أبشعها خطية ان يأخذ الابن فكرة سيئة عن والديه ، ويقل تقديره الداخلى لهما !! ولكن ما هو السبب فى هذه الخطية ، سوى العثرة التى يراها فى حياة والديه وطريقة تفكيرهما ..!

لماذا لا يكون الآباء روحيين ، والأمّهات روحيات ؟! ما أحلى . اذا لاحظ الأب فى يوم ما ان ابنه مقصر فى واجباته

الروحية - أن يقول له « أنا شاعر يا ابني انك فى فتور
روحى . سأهديك كتابا من سير القديسين قرأته قديما
وتأثرت به . إقرأه لتستفيد » أو « تعال بنا ، لنصلى معا » . . .

**العجيب أن كثيرا من الشبان المتدينين والشابات
المتدينات ، يجدون أن الأب والأم هما اللذان يعرقلان نموهم
الروحى !! ويقفان عقبة فى طريقهم نحو الله : يعطلان صلاة
الأبناء ، ويعطلان صومهم ، ويعطلان عبادتهم وتدينهم ،
يعطلان ذهابهم للاجتماعات الدينية !! ويكثران التوبيخ اذا
امتنع الأولاد عن بعض المتع التى لا تريح ضمائرهم .**

**ويظن هؤلاء الآباء أن تلك المتع مدامت لا تضرهم هم ولا
تعثرهم ، فبالضرورة هى ايضا لا تعثر أولادهم !! ناسين
الفارق فى السن ونوع الحياة !**

لست أدرى كيف سيقدم هؤلاء الآباء والأمهات حسابا
أمام الله عن حياة أولادهم الروحية ؟!! . . .

أما عن التكريس فهو مشكلة المشاكل دائما مع الوالدين .

الوالدان والتكريس :

عندما يريد أحد الأبناء أن يكرس نفسه لخدمة الرب ،
فأول من يقف ضده هو الأب والأم !! كأنه فى طريق الاعداء
أو السجن !

كل هم الأم أن تتزوج ابنتها وتستقر فى بيت . أما أن

أرادت تكريس نفسها للرب ، فان الدنيا تقوم وتقع .
وتظل الأم تضغط وتضغط ، بالأفكار تارة ، وبالبكاء تارة
أخرى ، وبالتهديد مرات عديدة . . . « أمك هاتموت . أمك
جالها ضغط » . ويضغطون على البنت المسكينة « ها- تقتلى
أمك ، حرام عليكى » !! كل ذلك من أجل اتجاه روحى مقدس
يحتاج الى حكمة فى مواجهته لا الى ثورة . . .

ويتطور الأمر الى خطيب يأتى ، ولا بد أن تقابله البنت ،
وتحسن مقابله ، والا فانها ستقتل أمها ! **والخطيب الوحيد**
المرفوض هو السيد المسيح ، الذى قال عنه بولس الرسول
خطبتكم . . . الأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٦٣) .

نقطة أخرى فى واجبات الوالدين وهى :

المحبة وحسن المعاملة :

أيها الآباء والأمهات ، كونوا أشخاصا روحيين ، يحترمكم
أولادكم . اكسبوا ثقتهم ، واكسبوا تقديرهم ، بشخصيتكم
الروحية ، لا بسلطانكم .

لا تظنوا ان الابوة هى مجرد سلطة . كلا ، انها حب
وحنان وعطف ، انها البال الطويل والقلب الواسع الذى يمرح
فيه الابن ، ويستريح . انها البذل والتضحية . . .

واذا خلت الابوة من حنانها ، تصبح لقبا ميتا لا حياة

(٦٣) ٢ كو ١١ : ٢

فيه . واذا اهتم الأب بمجرد السيطرة ، وأشبع في نفسه شهوة الأمر والنهي ، لمجرد الأمر والنهي ، واعتزازا بمركزه في الأسرة ، اذن فهو حاكم وسيد ، وليس أبا . . .

وذلالة الابوة على الحنان والرأفة ، هي ما قصده الرب الهنا عندما طلب اليانا أن ندعوه « أبانا » . وهكذا قال يوحنا الرسول « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (٦٤) . وعن هذا المعنى عينه نكلم داود في المزمور فقال « كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه » (٦٥) .

● **ومن علامات محبتكم لأولادكم ألا تضغطوا على نفسياتهم، وأن تأمروهم في حدود طاقتهم ، وأن تقنعوهم بأوامركم اذا بدت غريبة عليهم . لا تظنوا أن في شيء من هذا اقلا لا لمركزكم .**

اجعلوا طاعتهم واحترامهم لكم ، يكون مصدرها من الداخل ، من اقتناع قلوبهم ، وليس بارغام من الخارج .
انظروا لماذا يطيع الأبناء مرشديهم الروحيين أكثر من والديهم ؟ ان هذا لعدة أسباب بلا شك :

١ - لشقتهم في روحانية هؤلاء المرشدين ، وأن كلامهم عو صوت الرب لهم . هذه الثقة التي أنصحكم باقتنائها .

(٦٤) ايو ٣ : ١

(٦٥) مز ١٠٣ : ١٣

٢ - لأن هؤلاء المرشدين يكلمونهم بحب لا بسيطرة ، كأصدقاء ، لا يسمعون منهم عبارة « أنا قلت كده يعنى كده » ...

٣ - لأنهم يقنعونهم • لا يصدرون اليهم الأوامر واجبة التنفيذ ، وإنما يشرحون الفكرة ، حتى يفهمها أولادكم فينفذوها ... والكلمة القوية المقنعة مطاعة مهما كان مصدرها •

٤ - لأنهم يحترمون شخصية أولادكم وعقلياتهم • ما أحكم المثل القائل « ان كبر ابنك ، خاويه » أى عامله كأخ •
ليت هذه النقط الأربع تكون ذات فائدة • نصيحة أخرى •

● من علامات محبتكم الأولادكم أن تمنحوهم حرية تحت رقابتكم • الله نفسه يمنحنا الحرية ولا يجعلنا مسيرين • لذلك:

لا ترغموا أولادكم فيما يتعلق بزيجتهم • انصحوهم ، ولكن لا ترغموهم • لابد أن يوافق كل منهم على من يقضى معه فترة العمر كلها •

لا ترغموهم فيما يختص بمستقبلهم • انصحوهم ، ولكن لا ترغموهم • كل منهم له اتجاهه الخاص الذى يتفق ونفسيته وعقليته ومواهبه ...

اعطوهم حرية فى تدينهم • وتأكدوا أن تدينهم مفيد لهم ولكم ، على الأرض وفى السماء • ولا تقفوا عقبة فى حياتهم الروحية ، لئلا تفقدوهم •

الفصل الخامس

حدود إكرام الوالدين

الى أى حد يكرم الانسان والديه ؟ ان كانت هناك حدود معينة ، فما هى ؟ للإجابة على هذا السؤال نقول انه يجب على الانسان أن يحب والديه ويكرمهما الى آخر ما تصل اليه إمكانياته . ولكن عليه ألا تصطدم محبته بوالديه بمقدسات أخرى . فيراعى أن محبته لوالديه :

١ - لا تكون أزيد من محبته لله :

وهذا الأمر تحدث عنه الرب بصراحة فقال « فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها . . . وأعداء الانسان أهل بيته . من أحب أبا أو اما أكثر منى ، فلا يستحقنى . . . » (٦٦) .

اذن تحب أباك وأمك ، ولكن ليس أكثر من محبة الله . ان اصطدمت محبتكما بمحبتك لله ، فانك تصغى حينئذ الى قول الرب « ان كان احد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه

(٦٦) متى ١٠ : ٣٥ - ٣٧

و... حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » (٦٧)
طبعاً يحدث هذا ان كان أبوك وأمك سيبعدانك عن طريق
الرب ، أو ان كانا ضد الله أو ضد عمله .

فمن أجل الله ومحبته ، يجب أن تطرح جانباً كل محبة
أخرى . ومن أجله ومن أجل خدمته وانجيله ، يمكن أن تترك
الأب والأم والأقارب جميعاً . وفى ذلك قال الرب « الحق أقول
لكم ليس أحد ترك بيتاً أو أخوه أو أخوات أو أبا أو أما ...
لأجل ولأجل الانجيل ، الا ويأخذ مائة ضعف الآن وفى هذا
الزمان ... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (٦٨) .

ان محبة الله يجب أن توضع فوق كل محبة أخرى .
ومحبة الوالدين يجب أن تكون داخل محبة الله . فلا يصح
أن تكرم أبا على حساب محبة الله ، أو أن تجاهل أبا بكسر
وصية من وصايا الله .

من أجل الله يمكن أن تترك والديك ، ويمكن أن تضحي
بمحبتهم . وان سار أحدهما وراء الباطل ، فلا تشترك معه ،
ولا تجاهله . وسنضرب لذلك مثلاً من الكتاب المقدس ومثلاً
من تاريخ الكنيسة :

يوناثان البار يوبخ أباه شاول :

أحب يوناثان داود ، وكان الأب مع داود . وكان شاول
الملك أبو يوناثان يحسد داود ويشتهى قتله والتخلص منه .

(٦٧) لو ١٤ : ٢٦ (٦٨) مر ١٠ : ٢٩ - ٣٠

وكم من مرة حاول ذلك ولم يمكنه الرب منه . أما يونانان
فعمل كل جهده على انقاذ داود .

رأى يونانان ان الحق في جانب ، وأباه في جانب آخر .
فوقف الى جوار الحق ، ضد أبيه . ولم يتملق أباه ، بل
نصحه ووبخه . وجاهد لتحطيم خطط أبيه الشريرة .

في احدى المرات « كلم شاول يونانان ابته وجميع عبيده
أن يقتلوا داود » . فلم ينفذ يونانان هذا الأمر . ولم ينضم
لأبيه في رأيه ولا في خطته . بل على العكس « تكلم يونانان
عن داود حسنا مع شاول أبيه . وقال له : لا يخطيء الملك الى
عبده داود لأنه لم يخطيء اليك ، ولأن أعماله حسنة لك جدا
... لذا تخطيء الى دم بريء بقتل داود بلا سبب » (٦٩) .

ومكذا بين يونانان لأبيه خطاه في حق داود . ومدح
داود أمامه ولم يخف . وأقنعه حتى رجع في تلك المرة عن
فعله ولم يقتل داود ... لم يتملق أباه ، ولم يجامله ...

وأقام يونانان عهدا مع داود ، وهو يعلم أن أباه يكرهه ،
واتفق مع على خطة سرية تنقذه من أبيه ، ودافع عنه أمام أبيه
حتى غضب أبوه منه ، وقال له « يا ابن المتعوجة المتمردة ،
أما علمت أنك قد اخترت ابن يسي لحزبك ... لأنه مادام
ابن يسي حيا على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك . والآن
ارسل وأت به الى ، لأنه ابن الموت هو » .

(٦٩) اصم ١٩ : ١ - ٧

ولكن يونانان صمد أمام غضب أبيه ، وهاجم قرارات
أبيه مرة أخرى ، حتى ثار أبوه وكاد أن يقتله ...

وفى ذلك يقول الكتاب « فأجاب يونانان شاول أباه وقال
له لماذا يقتل (داود) ؟ ماذا عمل ؟! فصابى شاول الرمح
نحوه ليطعنه . فعلم يونانان أن أباه قد عزم على قتل داود .
فقام يونانان عن المائدة بحمو غضب ولم يأكل خبزا ... » (٧٠)
وذهب يونانان فأخبر داود ، وأنقذه « وقبل كل منهما
صاحبه وبكى » . وقال يونانان لداود : اذهب بسلام ...

وهكذا نرى أن يونانان البار ، قد بكت أباه ، وشرح له
خطئه ، ودافع أمامه بكل شجاعة عن داود الذى يكرهه أبوه .
وتعرض لغضب أبيه وثورته . وبذل كل جهده حتى أفسد
خلة أبيه فى قتل داود .

اكانت الوصية الخامسة تلزم يونانان أن يشترك مع أبيه
فى قتل داود ، أو على الأقل يصمت ولا يعارض أباه ، احتراماً
لأبيه واجلالاً لسنه ومركزه !!؟ كلا . بلا شك . لو فعل
يونانان كذلك - بفهم خاطئ - للوصية - لأخطأ الى الله ، وإلى
داود ، وإلى نفسه ، وإلى شاول أباه ...

الملك ، الى ان رؤيت :

مثال آخر من الكتاب المقدس ، وهو ما حدث بين سليمان
الملك وأمه . جاءت أمه اليه ، فقابلها بكل احترام ، وقام عن

(٧٠) اصم ٢٠ : ٣٠ - ٣٤

كرسيه وسجد لها ، ثم أجلسها الى جواره . فقالت له « انه
اسألك سؤالا واحدا صغيرا ، لا تردني » فأجابها « اسألي
يا أمي لا أردك » . فطلبت منه أمه طلبا ضد الشريعة ، طلبت
أن تعطى ابشيج الشونمية زوجة لأخيه ادونيا . وكانت
ابشيج تعتبر زوجة لأبيهما داود ، أو بمثابة ذلك

**وعلى الرغم من الاحترام العظيم الذي قابل به سليمان
أمه ، فانه لم يحبها في وساطتها لأدونيا ، بل أمر بقتله .**

وهكذا قال سليمان « . . . قد تكلم ادونيا بهذا الكلام
ضد نفسه . والآن حي هو الرب . . . انه اليوم يقتل
ادونيا » (٧١) .

القديسة دميانة توبخ أباه :

هذه القديسة العظيمة كان أبوها مرقس واليا على البرلس
والزعفران في عهد الملك ديوقلديانوس الكافر . ونتيجة لضغط
الملك الشديد وتهديده ، بخر مرقس الوالى للأصنام .

**فلما رجع الى ولايته ، وعلمت ابنته بخبره ، دخلت عليه
مغضبة . ولم تسلم عليه بل وبخته توبيخا شديدا ، وقالت
له انها تتبرا من ابوته ، وانه كان الأفضل لو رآته بيتا . . .**

ونتيجة لهذا التوبيخ الشديد أفاق أبوها من غفلة ، وبكته
ضميره ، فرجع الى ديوقلديانوس ، واعترف بالسيد المسيح ،
ومات شهيدا وانضم الى القديسين .

ولم يكن توبيخ ابنته دميانة له كسرا للوصية الخامسة ،
بل انقاذا لحياته من الهلاك الأبدى •

قلنا انه من حدود اكرام الوالدين ، أن هذا الاكرام
لا يتعارض مع محبة الله • نضيف نقطة أخرى هي :

٢ - حفظ حقوق الزوجية :

يقول الكتاب « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق
بامراته » (٧٢) • فلا يصح أن يضحي الرجل بزواجه اكراما
لأبيه وأمه • انى أنصح باستمرار ، من أجل سلامة الأسرة ،
أن يسكن كل زوجين جديدين فى بيت مستقل ، بعيدا عن
الاحتكاك بالأب أو الأم •

فلام التى تحب أن يظل ابنها فى حضنها وبيتها بعد أن
يتزوج ، هى أم تكسر الوصية القائلة « يترك الرجل أباه وأمه
ويلتصق بامراته » •

فاه سكن الابن وحده ، وظلت أمه تعيره بأنه ابن عاق ،
وأنه ترك أمه ونسى تعبها فيه ! فهذا كلام لا يصح أن يقال •
بل الأم الحكيمة هى التى تساعد أولادها وبناتها على الارتباط
بأزواجهم •

الأم الحكيمة اذا أتتها ابنتها غضبانة من زوجها ، لكى تقيم
معها فى البيت ، تقول لها « لا يا بنتى ، انت ليكى بيت غير

(٧٢) تك ٢ : ٢٤ ، متى ١٩ : ٥ ، اف ٥ : ٣١

ده • بيتك هو بيت زوجك • ارجعى الى زوجك واصطلحى معاه
لان الكتاب المقدس يأمرك أن تتركى الأب والأم وتلتصقى
بزوجك • ان الحنان الزائف الذى تبديه الأم نحو ابنتها فى
تشجيعها على ترك بيت زوجها ، هو سبب من الأسباب
الجوهرية فى كثير من مشاكل الأحوال الشخصية •

وكذلك فان الرجل الذى يحب أمه أكثر من زوجته ،
ويخرب بيته من أجل طاعة الأم ، هو أيضا لا ينفذ الوصية
التي تقول « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » •

ولكن ليس معنى هذا أن تستغل الزوجة هذه الآية فى
جهل ، وتوغر قلب زوجها ضد أبيه وأمه ••• وتقول له ان
الكتاب يقول « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » •
وهذه التى تقسى قلب زوجها ضد أبيه وأمه ، لا تظنوا مطلقا
أنه سيحبها أكثر من والديه • لأن محبة الوالدين هى محبة
طبيعية تجرى فى الدم • أما محبة الزوجة فهى محبة مكتسبة
تأتى بالخلطة والمعاشرة • والشخص الذى لا خير فيه لأبيه
وأمه ، لا خير فيه أيضا لزوجته •

أما قول الكتاب « يترك أباه وأمه » ، فالقصد منها بتركهما
من جهة المسكن ، ولكن لا يتركهما من جهة المحبة والاحترام
والعرفان بالجميل ، ولا من جهة الاعالة أيضا فى حدود
إمكانياته •••

•••••

أنواع أخرى من الأبوة

أقارب في مستوى الأبوين :

الوصية الخاصة باكرام الوالدين لا تنطبق عليهما وحدهما ، بل على من هم في مستواهم أيضا ، مثل العم والحال ، والعمة والحالة ، والأجداد طبعاً لأنهم آباء الآباء .

والحماء تعتبر أما ويسمونها بالإنجليزية mother in Law

وكذلك الصهر يعتبر أبا ، ويسمونه father in Law

صدقوني ، لو أن كل زوجة عاملت أم زوجها كأنها أمها ، وحمايتها نظرت اليها كابنتها ، لزالَت تلك المشكلة تماما . . .

وعلى العموم ، فإن كل الأقارب الذين هم أعلى منك درجة ، وأكبر منك سناً ، عاملهم كآباء وأمهات . ولسنا في حاجة الى كتابة قائمة طويلة بكل هؤلاء الأقارب . والأخ الأكبر ينبغي أن تعامله باحترام ، وكذلك الأخت الكبرى .

هناك أنواع أخرى من الأبوة ، خارج القرابة الجسدية ، سنتكلم عنها في الصفحات المقبلة . . .

الأبوة الروحية ، واحترام الكهنة والقديسين

كما أن لنا آباء وأمهات بالجسد ، كذلك أعطانا الله أما روحية هي الكنيسة ، وآباء روحيين هم الأنبياء والرسل والأساقفة والكهنة . ومن آباء نسل الروحيين القديسون عموماً ...

أمثلة من الأبوة الروحية :

ابراهيم أبو الآباء دعى أباً لجميعنا « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة » مع أنهم ليسوا من نسله بالجسد .
« أباً لأمم كثيرة ... ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضاً لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا » (٧٣) .
ان المسيح عندما رأى ايليا النبي صاعداً الى السماء صرخ قائلاً « يا أبى يا أبى ، مركبة اسرائيل وفرسانها » (٧٤) .
وبنفس هذا النداء أيضاً مخاطب يواش الملك المسيح النبي (٧٥) وكان المسيح واياً بتراين ، ولكنها أبوة روحية .

وعن هذه الأبوة الروحية يرسل بولس الرسول الى فليبيون من جهة انسيوس فيقول « أطلب اليك لأجل ابني

(٧٣) ١٢ : ٢ مل (٧٤)

١٦ - ١١ : ٤ رو

(٧٥) ١٤ : ٢ مل

انسيموس الذى ولدته فى قيودى « (٧٦) . ويوحنا الرسول
كان بتولا ، وابوته لانسيموس هى أبوة روحية ، وكذلك أبوته
لتيموثاوس ، الذى قال عنه « تيموثاوس الابن الصريح فى
الايمان » (٧٧) وأيضا « تيموثاوس الابن الحبيب » (٧٨) .

وعن هذه الأبوة الروحية أرسل بولس الرسول الى أهل
غلاطية يقول لهم « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا » (٧٩)
كما أرسل الى أهل كورنثوس يقول « ... كأولادى الاحباء
أذكركم . لأنه وان كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح ،
لكن ليس آباء كثيرون ، لأننى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع
بالانجيل . لذلك أرسلت اليكم تيموثاوس الذى هو ابنى
الحبيب والأمين فى الرب ... » (٨٠) .

**ويوحنا الرسول - وهو بتول أيضا - تحدث عن أبوته
الروحية ، فكتب يقول « يا أولادى ، أكتب اليكم هذا لئلا
تخطئوا » (٨١) . « ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع
عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (٨٢) .**

**والدسقولية تقول فى بابها السادس عن الأسقف انه
« أبوكم بعد الله » . والكنيسة تقول عن القديسين فى المجمع
« آباءنا القديسين » . وتقول فى أوشية الراقدين « اطلبوا**

(٧٦) فليمون ١٠	(٧٧) اتى ١ : ٢
(٧٨) ٢ : ٢	(٧٩) غل ٤ : ١٩
(٨٠) اكو ٤ : ١٤ - ١٧	(٨١) ١ يو ٢ : ١
(٨٢) ٣ يو ٤	

عن آبائنا واخوتنا الذين رقدوا . . . آبائنا القديسين رؤساء
 الأساقفة ، وآبائنا الأساقفة ، وآبائنا القمامسة ، وآبائنا
 القسوس ، واخوتنا الشمامسة ، وآبائنا الرهبان . . .
 ومن اعتزاز الكنيسة بلقب الأبوة الذي يدل على غاية
 الحنان والحب ، تسمى رئيس الأقباط « البابا » . وتطلق على
 المطارنة والأساقفة لقب « أنبا » أى « أب » .
 ذلك لأن المحبة التى يحملها لقب الأبوة هى الدعامة الأولى
 للرعاية والخدمة .

الأبوة أعمق تأثيرا من السيادة (٨٣)

مع اعترافنا بأن الأسقف سيد ورئيس وملك وراع كما
 تدعوه الدسقولية ، إلا أننا عندما نقول « أبونا الأسقف »
 و « أبونا المطران » و « أبونا البطريرك » ، إنما يتملكنا
 احساس قوى بعاطفة أعمق بكثير من رسميات الرئاسة
 والسلطة . يكفى أن الله ذاته نناديه قائلين « أبانا » دون أى
 انقاص من سلطته علينا .

وانت يا أبى الأسقف ، عندما تنسى أنك رئيس وسيد ،
 وتذكر فقط أنك أب تجمع أولادك فى حضنك كما تجمع
 الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، حينئذ ستعيش فى جو من

(٨٣) نقلناها عن (الكراسة) من العديدين ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٦

المحبة ، تربطك بأولادك العاطفة اكثر من القانون ، والمحبة
أكثر من الخضوع •

لك يا أبى سلطان ، ومن حقا أن تأمر فتطاع • ولكن
حسن أن تدسى سلطانك ، وأن يطيعك الناس حبا فيك لا خوفا
منك ، وطلبها لبركاتك ورضاك لا اتقاء لعقوباتك وسلطة
كهنوتك •

قد يخضع البعض لأمرك وينفذه ، وفى داخله تدمر قد
يصعد أحيانا الى فمه • أما بالحب فتكسب نوعا آخر من
الخضوع هو خضوع الثقة ورضا القلب ...

وما أجمل قول الكتاب :

”إن صرتَ اليوم عبدا لهذا الشعب ، وخدمتهم وأهبيتهم ،
وكلمتهم كلاما صنا ، يكونون لك عبدا كل الأيام“ (مل ١٢ : ٧)

ليست أبوة الرعاية لقبا رسميا ، بقدر ما هى حالة من
الحب والعناية والعطف ، يلمسها عمليا كل من يتصل بالراعى
عن قرب أو بعد • فالراعى هو القلب الواسع الكبير ، الذى
يلجأ اليه الجميع ، فيجدون عنده حلا لمشاكلهم ، أو على الأقل
عزاء فى ضيقاتهم ...

الراعى الحقيقى يدخل مدرسة الحب قبل مدرسة الخدمة •
يتخذ الناس أبا عن جدارة لا عن وظيفة • حتى ان قلت
مواهبه ، تعوضها محبته ...

حورب تلاميذ المسيح بمحبة السيادة هم ايضها ، فقال لهم الرب : « لا يكن فيكم هذا الفكر » . ومع ذلك « من اراد فيكم ان يكون عظيما فليكن لكم خادما » . ومن اراد ان يكون فيكم اولاً ، فليكن لكم عبداً » (٨٤) .

ان السيادة الحقيقية للراعى هي سيادته على القلوب . بالمحبة ، ولا يصح ان تأخذ مظهراً عالمياً ينحرف بها الى حب السيادة والتسلط !! ان عمله هو كسب النفوس للرب ، وليس كسب طاعتهم وخضوعهم لشخصه !

وما أسهل أن يحاول الراعى تبرير موقفه ، بأن يقول : « لست أبحث عن كرامتى ، وإنما عن كرامة الكهنوت » !! انه فهم خاطئ ، لكرامة الكهنوت . فالسيد المسيح لم يفقد كرامته ، عندما انحنى وغسل أرجل تلاميذه ، بل ازدادت كرامته فى أعيننا بخدمته لنا ، وازدادت جداً بقول الكتاب عنه انه « أخلى ذاته وأخذ شكل العبد » .

فهل يخلى سيدك ذاته ، ويأخذ شكل العبد وهو سيد الكل ، وتحاول أنت أن تصير سيداً للعبيد رفقاءك ١٠٠٠ ! أتريد أن تختبر نفسك فى هذا الأمر ؟ هوذا الاختبار !

ان كنت تبين مسروداً ، حينما تخضع غيرك لسلطانك الكهنوتى ، وتذله تحت قدميك ، اذن فأنت مجرد سيد ولست

(٨٤) متى ٢٠ : ٢٦-٢٧

أبا . أما ان كنت أبا بالحقيقة ، فلن يغمض لك جفن ، ان قهرت ابنك وأذلتته ، وبات بسببك متعبا ... !

ان الراعى الذى يريد أن يبنى ملكوت الله ، يضع أمامه خلاص أنفس رعيتته ، مهما قاسى فى سبيل ذلك ومهما احتمل . أما الذى يريد أن يبنى نفسه - وفى الحقيقة هو يهدمها - فانه يضع أمامه باستمرار طاعة الناس وخضوعهم . ويظن النجاح كل النجاح فى أن يطيعوا وأن يخضعوا !! مهما كانت الأوامر مقنعة أو غير مقنعة ، نافعة أو ضارة !!

الطاعة والخضوع أمران سهلان ، ولكن أهم منهما المحبة والاحترام .

الراعى المحب يقنع أولاده بحكمة أوامره ، كما كان الرب يشرح ويفسر . وطريق الاقناع طويل ، ولكنه أثبت وأنفع . أما طريق السلطة ، فقصير ومختصر ولكنه خطر وغير ثابت . انه يمكن ان يسير الأمور الى حين ، ولكنه لا يرضى قلب الخاضع ، ولا يخلص نفس الأمر !

وقد يكسب الراعى خضوع الناس ، دون أن يكسب توقيرهم وتقديرهم . وقد ينال احترامهم لوظيفته ، دون شخصه . أما الذين خلدوا فى تاريخ الكنيسة ، والذين سيخلدون فى الملكوت ، فهم الذين وقرهم الناس وأحبهم الله ، لأشخاصهم ، مهما كانت وظائفهم ضئيلة ...

حقوق الأب الروحي وواجباته :

من حق الأب الروحي أن ينال من ابنه في الرب الطاعة والاحترام كممثل لله على الأرض . ومن واجباته رعاية أولاده روحيا ، وبذل كل جهده من أجل خلاص نفوسهم ، والمواظبة على افتقادهم ومعرفة احتياجاتهم .

ومن واجبه أن يحبهم حتى المنتهى ، كما أحب المسيح خاصته ، وأن يكون رفيقا بهم ، مملوءا بالحنان والعطف ، يحتملهم في ضعفاتهم ، ويرد الضالين منهم .

ومن واجبه أن يهتم بتعليم أولاده ، فالكتاب يقول « هلك شعبي من عدم المعرفة » (٨٥) . ومن واجب الراعي أن يكون قدوة لأولاده ، وأن يبذل نفسه عنهم .

محبة متبادلة :

إذا خلت الرعاية من المحبة ، فقدت أقوى دعائمها . بدون المحبة التي تربط الأب الروحي بأولاده ، لا يستطيع أن يعمل شيئا لأجل خلاصهم ولفائدتهم الروحية .

بالمحبة يفتحون له قلوبهم ، وبالمحبة يعرف احتياجاتهم الروحية . فتكون خدمته لهم واقعية عملية تتصل بهم عن قرب .

وبالمحبة يقبلون ما ينصحهم به ، وما يقترحه من حلول لمشاكلهم . وبذلك تسهل خدمته . وبالمحبة يمكن للأبناء

(٨٥) هوشع ٤ : ٦

الروحيين أن يقبلوا من أبيهم الروحي التوبيخ والانتهاز والتأديب ، بل العقوبة أيضا . لأنهم يعلمون أنه ليس بقسوة يعاملهم . في كل شدة يتخذها ، ان اضطر الى ذلك ، يضعون أمامهم قول الكتاب « أمانة هي جراح المحب » (أم ٢٧ : ٦) . وبالعكس ان لم يكسب محبتهم ، ينظرون الى تأديبه نظرة عداة

وبالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يكلموا أباهم بصراحة تامة ، حتى النقد لا يخافون من مواجهته به بدالة وباخلاص .
عارفين أنه لا يتضايق من الصراحة ، وأنه قلب كبير يتسع لكل كلامهم ولكل أفكارهم وأيضا لكل ما يحاربهم به العدو نحوه من شكوك . وكما قال الرسول ان المحبة تطرد الخوف الى خارج (ايو ٤ : ١٨) .

أمثلة من سير القديسين :

هذه المحبة وجدنا لها أمثلة كثيرة في سير القديسين ،
ظهرت في التفاف الرعية نحو راعيها باستمرار . كما حدث في التفاف الشعب حول أبيهم القديس اثناسيوس الرسولي في كل ضيقاته وفي كل مرة نفى فيها عن كرسيه . ومن أمثلتها المحبة التي قوبل بها ذهبى الهم . والمحبة التي قوبل بها القديس اغناطيوس أسقف انطاكية الذي عزم شعب رومة على اختطافه حتى لا يلقي طعاما للأسود

ومن أمثلة هذه المحبة العجيبة ما تمتع به بولس الرسول من أولاده الذين قال لهم مرة « لأنى أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتهم

عيونكم وأعطيتموني » (غل ٤ : ١٥) . هذه المحبة ظهرت في الوداع المؤثر الذي حدث في ميليتس حيث يقول الكتاب « وكان بكاء عظيم من الجميع . ووقعوا على عنق بولس يقبلونه ، متوجعين ولا سيما من الكلمة التي قالها انهم لن يروا وجهه ايضا » (أع ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨) .

من أعمق كلمات المحبة العاطفية التي تتضح كمثال رائع، ما ورد في رسالة بولس الرسول الى رومية حيث يقول :

« سلموا على بريسكلا واكيلا العاملين معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي ... سلموا على ابينثوس حبيبي الذي هو باكورة اخائية للمسيح . سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرا . سلموا على أندرونيكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل ، وقد كانا في المسيح قبلي . سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب . سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح ، وعلى استاخيس حبيبي . سلموا على ابلس المزمي في المسيح ... سلموا على تريفينا وتريفوسا التابعتين في الرب سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيرا في الرب . سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي ... » (رو ١٦ : ٣ - ١٦) .

كثيرون وكثيرات يذكرهم بولس بالاسم بعبارات عاطفية، كم مرة وصفهم بكلمة حبيبي ، وبكلمة المحبوبة ، وشكرهم على تعبتهم من أجل الرب ومن أجله ، ووضعهم أعناقهم من أجل حياته ...

انه الحب العجيب الذى يربطهم به ، وبنفس الاسلوب
كان يتكلم عن أبنائه المحبوبين من الأساففة ، مثل تيموثاوس
« الابن الحبيب » (٢ : ١) وتيطس « الابن الصريح »
(١ : ٤) .

بنفس أسلوب المحبة عاش يوحنا الرسول مع أولاده .
يبدأ رسالته الثانية بقوله « الشيخ الى كيريه المختارة والى
أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » . ويبدأ رسالته الثالثة بقوله
« الشيخ الى غايس الحبيب ، الذى أنا أحبه بالحق » . أيها
الحبيب فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن
نفسك ناجحة » .

هذه المحبة مع الأبناء الروحيين تعلمها الرسل القديسون
من الرب نفسه ، من عظم محبته لأولاده ، من المسيح الحنون
المحب الذى بلغ من محبته أن اسنطاع يوحنا أن يتكىء على
صدره ، ويسر أن يلعب نفسه بلقب « التلميذ الذى يسوع
يحبه » ، وبلغ من محبته للناس أن استطاعت المرأة الخاطئة
أن تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها . وقال الرب
عنها ان خطاياها الكثيرة قد غفرت لها لأنها أحبت كثيراً .
(لو ٧ : ٤٧)

يسوع الهنا المحب ، الذى أحب خاصته الذين فى العالم ،
أحبهم حتى المنتهى (يو ١٣ : ١) . ومن أجل الحب بذل ذاته
عنهم ، ومن أجل الحب ظهر لهم بعد القيامة يقوهم ويشبتهم فى
الايمان . هذا الحب الذى جعل الأطفال يلتفون حوله ،
ويهتفون عند دخوله أورشليم ، ونساء كثيرات يتبعنه من

الجليل ويخدمه (متى ٢٧: ٥٥) . هذا الحب الذى جعل بنات
أورشليم يبكين عليه (لو ٢٣ : ٢٨) والمريمات يذهبن مبكرات
الى قبره .

**كان الرب يسوع محبوبا وكان تلاميذه محبوبين ، وكان
خلفاؤهم الأساقفة محبوبين . وكان هذا الحب الذى يربط
الابوة الروحية بالأبناء هو الدعامة الأساسية للرعاية . . .**

ان ذكرت اذن كلمة (أب) ينبغى أن نذكر الى جوارها
نواحى محبته العملية . أما كلمة أب - بدون حب يظهر
عمليا - فهي مجرد لقب لا روح فيه ولا يدل على شئ .
الناس ينتظرون من الآباء الروحيين أن يظهروا أبوتهم بمحبتهم
العملية وبحنانهم وعطفهم وقلبهم الكبير .

**أما الابوة التى تطلب أكثر ما تعطى ، وتوبخ أكثر مما
تعزى ، وتجرح أكثر مما تريح ، فانها محتاجة أن تراجع
نفسها ، وتسعى لتكسب الحب الذى ليس هو وظيفه رسمية
وانما هو حنان وعطف وبذل . . .**

احترام القديسين وتوقيرهم :

ان اكرام الآباء ينطبق أيضا على القديسين الذين رقدوا،
سواء منهم الآباء الشهداء ، أو أبطال الايمان ، أو قديسو
البرارى والرهينة ، أو الآباء الرعاة . . .

**وهؤلاء نكرمهم ببناء الكنائس على اسمائهم، وباقامة الأعياد
لهم ، وبذكرهم فى تسابيحنا وصلواتنا ، وبشر سيرتهم
العطرة وسط الناس ، وقراءتها فى سنكسار اليوم على**

المصلين ، وبالاحتفاظ بأيقوناتهم فى كنائسنا وبصورهم فى بيوتنا ...

ونكرم القديسين أيضا بأطلاق أسمائهم على أبنائنا ، وعلى جمعياتنا ومجالاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا ، ونكرمهم بديرام تذكرهم والاستشفاع بهم ، كما نكرمهم بالاهتمام بأجسادهم وعظامهم .

ونكرم القديسين بالأكثر باتباع نعاليمهم وبنشرها ، والافتداء العملى بحياتهم .

غير اننا شعب مقصر جدا فى اكرام القديسين . يكاد يكون كل احتفالاتنا بثلاثة من القديسين هم السيدة العذراء والملوك ميخائيل ومار جرجس . أما باقى القديسين والقديسات فإكرامنا لهم محدود جدا وضئيل . وكمثال لذلك نقول انه فى سنة ١٩٥٦ كان تذكار مرور ١٦٠٠ سنة على نياحة القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب جميع الرهبان فمن أحسن بذلك التاريخ . كذلك تذكار مرور ١٩٠٠ سنة على استشهاد القديسين بطرس وبولس الرسولين اللذين استشهدا على أغلب الروايات سنة ٦٧ م فى عهد نرون .

نشكر الله اننا سنحتفل بعيد مار مرقس هذا العام ، جعله الرب عيدا سعيدا للكنيسة كلها ...



أبوة السن ، واحترام الشيوخ

هناك من هو فى مركز ابيك من جهة القرابة الجسدية ،
وعليك أن تحترمه وتوقره . وهناك من هو فى مركز ابيك من
جهة السن ، وعليك أيضا أن تحترمه وتوقره . وعلى العموم
ينبغى أن يحترم من هم أكبر منك سنا . . .

نرى مثالا لاحترام السن ونوقير الشيوخ فى قصة أيوب
الصديق . كان لأيوب ثلاثة أصحاب هم اليفاز وبلدد
وصوفر . وكان هناك صديق رابع اسمه اليهو . وظل الثلاثة
يناقشون أيوب ٢٨ اصحاحا ، واليهو صامت ، يسمع وهو
ساكت ، لأنهم أكبر منه سنا . وأخيرا عندما فشـلوا فى
نقاشهم ، اضطر اليهو أن يتدخل . . .

وبدأ اليهو كلامه بقوله « أنا صغير فى الأيام وانتم
شيوخ . لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأى . قلت
الأيام تتكلم وكثرة السنين تظهر حكمة » (٨٦) .

نستطيع أن نأخذ من هذا الموقف تعليما ، أن الصغير
ينبغى أن يصمت وسط الكبار . يجلس ليسمع ويفهم
ويعلم . وهذا موجود فى أنظمة الرهبانية ، حيث لا يجوز
للراهب المبتدىء أن يتكلم فى مجمع الشيوخ .

(٨٦) أى ٣٢ : ٦ ، ٧

لذلك قيل : لا تلق بكلمتك وسط الكبار . وان سئل شخص كبير ولم يعرف ، فالأدب يمنع الصغير من أن يقول الإجابة وان كان يعرفها . لا يصح للصغير أيضا أن يرفع صوته في وجه من هو أكبر منه ، بل يكلمه باحترام .

بولس الرسول نفسه قال لتلميذه القديس تيموثاوس الأسقف - وكان صغير السن - منبها الى احترام الشيوخ ، لا تزجر شيخا ، بل عظه كاب ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ... (٨٧) فإن كان تيموثاوس الأسقف ، مفروض فيه أن يعامل الشيوخ كأباء والعجائز كأمهات فبالأولى الفرد العادي من الشعب ...

ونفس هذا الاحترام سلك به بولس نفسه نحو العجائز .
فقال في رسالته الى رومية (٨٨) « سلموا على رؤوس المختار في الرب ، وعلى أمه أمي » . فسمّاها أمه مع أنها من الناحية الروحية تعتبر من بناته .

وهكذا من جهة السن أيضا اعتبر مرقس الرسول أبنا لبطرس . فقال عنه « مرقس ابني » (٨٩) .

لقد دعانا الرب أن نتخذ المتكأ الأخير في الولايم (٩٠) .
هذا المتكأ الأخير ينبغي أن نتخذه مع كل من هو أكبر منا .
قال الكتاب « من أمام الأشيب تقوم ، وتحترم وجه الشيخ » (٩١) .

(٨٨) رو ١٦ : ١٣

(٨٧) ١ : ٥ ، ٢

(٩٠) لو ١٤ : ١٠

(٨٩) ١ بط ٥ : ١٣

(٩١) لا ١٩ : ٣٢

لا يصح أن تجلس ، وشخص أكبر منك واقف . ولتكن
جلستك مهذبة أمام من هو أكبر منك . لا يصح أيضا أن تجلس
وتعطى ظهرك لمن هو أكبر منك .

وان كنت سائرا مع شخص أكبر منك . وهو يحمل
حملا ، فأحمله بدلا منه وهكذا احترام الكبار في
اسلوبك أيضا في الكلام ، وفي كل شيء قدمهم على نفسك .

كل هذا عن الاحترام ، أما عن الطاعة ، ففي حياتك
الروحية تطيع أباك الروحي ومن تكون عنده المعرفة والحكمة
بغض النظر عن السن ، فقد يوجد شيوخ مخطئون وأمثلتهم
كثيرة في الكتاب (٩٢) . وقد يوجد شباب حكماء كيوسف
ودانيال واثناسيوس الرسولي . . .

(٩٢) امل ٢ : ٦ ، ٩ ، و اى ٣٢ : ٩ و يو ٨ : ٩ و
مز ١١٩ : ١٠٠ و جا ٤ : ١٣

أبوة المركز ، واحترام المعلمين والرؤساء

أبوة المركز والرعاية والمسئولية وضحتها الكتاب المقدس في مدسباب عديدة . فمن جهة الرعاية ، قال أيوب الصديق « أب أنا للفقراء ، ودعوى لم أعرفها فحسنت عنها » (٩٣) ولما تولى يوسف الصديق حكم مصر والاشراف على بيت فرعون ، قال ان الله « قد جعلنى أباً لفرعون وسيدا لكل بيته » (٩٤) . كذلك فان عبيد نعمان السريانى - عندما تضايق من الاغتسال فى الأردن ليبراً - قالوا له « يا أبانا ، لو قال لك النبى أمرا عظيما ، أما كنت تفعله » (٩٥) فدعوه « أبانا » من جهة المركز .

ولعله من هذا القبيل ، قال داود لشاول الملك « أنظر يا أبى أنظر أيضا طرف جبتك بيدى » (٩٦) ، تعبيرا تمتزج فيه أبوة المركز بأبوة السن . . .

من هذه الناحية تنطبق الوصية الخامسة على الرؤساء ، وعلى المعلمين ، وكل من لهم رعاية وأشراف على الانسان .

(٩٤) تك ٤٥ : ٨

(٩٣) أى ٢٩ : ١٦

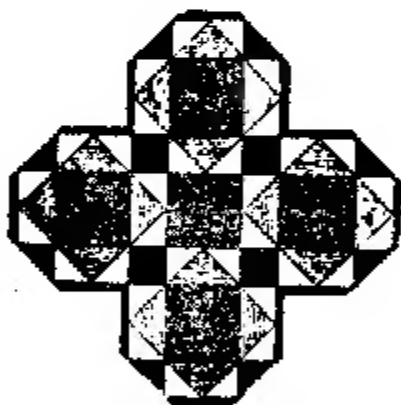
(٩٦) ١ صم ٢٤ : ١١

(٩٩) ٢ مل ٥ : ١٣

فالتاللب الذى لا يكرم مدرسه أو لا يطيعه أو يشاغب فى
فصله ، أو يكسر قوانين المدرسة ، انما يكسر الوصية
الخامسة • وبالمثل المرظف الذى لا يطيع أوامر رؤسائه
الرسمية ، والمواطن الذى لا يطيع نظم الدولة •

من هنا نرى الاتساع الكبير الذى شملته وصية « اكرم
أباك وأمك » •

أما طول الأيام على الأرض ، فقد تؤخذ بالمعنى الحرفى أى
طول الأعمار ، أو قد تؤخذ بشىء من التأمل عن الأبدية فى
« أرض الأحياء » (٩٧) •



محتويات الكتاب

صفحة

- الفصل الأول : الأبوة الطبيعية واحترام الأقارب الكبار ٦
- أهمية هذه الوصية ٧
- الفصل الثاني : كيف نكرم الآباء والأمهات ١٦
- النجاح - العرفان بالجميل - الاعالة
الاحترام - الطاعة والخضوع
- ٣٣ طاعة في الرب
- الفصل الثالث : حول الطاعة والخضوع ٣٦
- الفصل الرابع : واجب الآباء نحو أبنائهم ٤٢
- الفصل الخامس : حدود اكرام الوالدين ٥٥
- الفصل السادس : أنواع أخرى من الأبوة ٦٢
- أقارب في مستوى الوالدين - الأبوة
الروحية ...
أبوة السن - أبوة المركز ...